الطبعة الخامسة

سلوى العضيدان

حين تكبو انهض

الحياة معركة فلا ترفع راية استسلامك
لأنك إن فعلت فأنت تحتضر ...

حين تكبو .. انهض

سلوى العضيدان

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العضيدان، سلوى بنت حسن

حين تكبو .. انهض./ سلوى بنت حسن العضيدان-



الطبعة الخامسة

ذوالقعدة ١٤٣٨هـ - أغسطس (آب) ٢٠١٧م

٢٠١٩٦٢٦


بسم الله الرحمن الرحيم


تليجرام
سور الأزبكية

الإهـداء

إلى أمي الغالية "منيرة"

وخالي الحبيب "حمود"

جمهوري الأول الذي استمع لي

وسمعت صدى تصفيقه

ومازلت أسمعه..!

المؤلفـــــة




تليجرام أكبر مكتبة هنا سور الازبكية
كتاب600000

شكر وتقدير

هذه كلماتي أرسلها إليكم بعطر محبتي وعرفاني يا من عشت مع قصص كفاحكم شهوراً عديدة إلى تلك الدرجة التي افتقدتكم فيها حين سلَّمت الكتاب إلى المطبعة، وأدعو الله صادقة أن يجزيكم خير الجزاء عن كل صرخة أمل ستبدد ظلام يائسٍ كادت تلفظه الحياة ويلفظها.. وعن كل ضوء سيلمع في نهاية نفق مظلم كاد فاشل أن يجعله مسكنه، ونزولاً عند رغبة البعض سأذكر الاسم الصريح له والآخر سأذكر اسمه المستعار كما إني لن أذكر أسماء الذين طلبوا عدم الإشارة إليهم أبداً.

فشكراً لكم شكراً يليق بحكايات صمودكم ونجاحكم ونهوضكم من عثراتكم وعدم استسلامكم لليأس والفشل:-

١- الأستاذة منى الباعود.

٢- الدكتورة الجوهرة الحمد.

٣- الأستاذ ماجد إبراهيم المحيميد.

٤- الجدة نورة صالح الثنيان.

٥- الشيخ صالح عايد ملوح العنزي.

٦- الدكتور إبراهيم المطلق.

٧- العائد إلى ربه من سجن المخدرات.

٨- الذين طلبوا عدم الإشارة إليهم.

أسأل الكريم المتفضل أن يتم عليكم نعمته وفضله ويجعلكم مشاعل أمل وإلهام للآخرين..

أختكم

سلوى العضيدان

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كثيراً ما سألني الآخرون لماذا أنتم معاشر المتخصصين في تطوير الذات تكررون لنا نفس قصص الكفاح والعصامية ولكأنها النجاح حكراً فقط على العظماء والمشاهير؟!

ومن هنا لمعت فكرة هذا الكتاب في ذهني فقد شعرت بأن تساؤلهم الصادق كان في محله!

فقمت بنشر إعلان صغير في "تويتر" و "الفيس بوك" لمن يرغب أن يكون ملهماً للآخرين بحكاية نجاحه، كضوء يلمع بنهاية نفق، ولا تسألوا عن سعادتي وأنا أرى أمواج القصص تتدفق على بريدي الإلكتروني حتى أيقنت فعلاً أن العظماء ليس شرطاً أن يكونوا ممن رست سفن التاريخ على شواطئهم يوماً؛ بل إني أكاد أجزم صادقة بأن كل إنسان بسيط سجل حكاية نجاحه بفضل الله ثم اعتماده على نفسه فإنه حري به أن يكون عظيماً ولو لم يكن مشهوراً!

لذلك أترككم لتبحروا بخيالكم وعقولكم وقلوبكم مع قصص النجاح الواقعية وتعيشوا تفاصيلها مع أصحابها..

وكلي يقين وأمل بأني يوماً ما سأكتب قصص نجاحكم بإذن الله تعالى!

سلوى العضيدان

حين تكبو.. انهض

• حين تكبو.. انهض.. لا تنتظر من أحدهم أن يمد يده إليك ليساعدك.. أزل الغبار عن ثيابك، واجمع حاجياتك المتناثرة والبس نعليك وأكمل المسير؛ فالطريق لم ينته بعد!

• حين تكبو.. انهض.. فالفشل لا يعني نهاية العالم؛ لأنك حين تبحث ستجد أشياء جميلة في هذا العالم تستحق منك أن تبدأ من جديد..!

• حين تكبو.. انهض.. وأطفئ شموع اليأس التي تتراقص ظلالها على جدران حياتك.. وانفث من أنفاس إرادتك ما يجعلها تخبو للأبد، واسكب الزيت بهدوء في قناديل الأمل!

• حين تكبو.. انهض.. وقَلِّب أوراق التاريخ العتيقة، وأطلق العنان لنفسك المثقلة بالهموم لتبحر في لجة أمواج الصراع التي عاشها العظماء ضد الفشل، وأصغ السمع لأنين اليأس الذي ولى الأدبار مثخن الجراح أمام عنفوان إرادتهم!

• حين تكبو.. انهض.. وحطم دوائر الحزن التي حاكتها حول

قلبك خيوط اليأس، واعلم أن تشبثك بالأمل سيحيل خيوطها أنكاثا فاصمد!

• حين تكبو.. انهض.. أطلق أسر دموعك دعها تجري أنهارا فوق وجنتيك، تخلص من ملوحة الانكسار، لا تكبت مشاعر الانهزام في داخلك بل اقذف بها بعيدا عن حقولك، فليس عارًا أن نبكي، لكن العار أن نظل نبكي للأبد وأشجارنا في حقولنا تحترق!

• حين تكبو.. انهض.. حطم تماثيل الوهم التي نصبتها في قلبك..لمن لا يستحق نبضاته.. فشيء رائع أن نرسم صورة جميلة لمن نحب، لكن الأروع أن نؤمن أن تلك الصورة لا توجد إلا في الخيال فقط.. فلملم شتات قلبك وأكمل المسير ولا تلتفت وراءك أبدا!

• حين تكبو.. انهض.. وانظر لجمال الورود من حولك، واستنشق عبيرها الفواح.. وتعلم منها كيف أنها تتباهى بجمالها رغم الأشواك التي تحيط بها!

• حين تكبو.. انهض.. لأن نهوضك سيمنحك لذة الانتصار الذي يعلمك أن تنهض كلما كبوت!

ابحث عن الدعم

قرأت يوماً مقولة لتوماس أديسون يقول فيها "من المفيد أن تخطط للأمور مقدماً فلم يكن المطر قد نزل بعد حين قام نوح ببناء سفينته".

لذا حين تشعر أن مشكلة ما بدأت غيومها تتجمع في سماء حياتك منذرة باقتراب إعصار كبير، فلا تخف واحتفظ بتماسكك وإياك والهرب لسبب بسيط أنه مهما هربت ففي النهاية لا بد لك من مواجهة ما هربت منه فالمسألة مسألة وقت لا أقل ولا أكثر لكن الفرق هنا أنه بمرور الأيام التي كنت تهرب فيها من المواجهة فإن المشكلة ستكون قد تضخمت واحتلت حيزاً أكبر وتشعبت بدرجة كبيرة، فلذلك اعتمد أسلوب المواجهة مع مشاكلك والاستعداد لها والتفكير بالخيارات المتاحة ومن ثم انتقاء الحلول المناسبة منها .. فهكذا تستطيع أن تكتسب الخبرة وتكون قادراً على التحكم في المشاكل التي قد تفاجئك أحياناً.."

بالنسبة للمشكلات الصغيرة فبإمكانك التغلب عليها بسهولة بفضل الله تعالى ثم بفضل الخبرات التي اكتسبتها في مشوار حياتك بالإضافة إلى فن المواجهة الذي حدثتك عنه، أما بالنسبة للمشاكل الكبيرة فأنت بلا شك قادر بإذن الله على تخطيها ومعالجتها لكنك ستحتاج إلى الدعم المعنوي لذلك "ابحث عن الدعم"!

كأني بك قارئي العزيز تسألني ولماذا أبحث عن الدعم هل أحتاجه حقاً؟

دعني أخبرك.. المشاكل الكبيرة مثل قارب بلا مجدافين وأنت تجدف فيه وحيداً، قد يصادفك الحظ ويرسو بك بأمان فوق مرفئ ما.. وقد لا تكون محظوظاً أبدا ..!

لذلك أنت بحاجة لشخص يساندك بصدق وإيمان أثناء كفاحك لحل مشكلتك، شخص حين تبدأ في الانهيار داخلياً يقترب منك قائلاً: "أنا هنا بجوارك وأنت تتقدم بشكل رائع فأكمل لم يتبق إلا القليل".

شخص يقول لك "أحسنت يا قبطان" بينما أنت تجدف بمجدافيك بكل إصرار وتراقب الرياح والأمواج والصخور المرجانية وتتطلع ببصرك نحو ميناء يلوح من بعيد.

-المشاكل الكبيرة إن حاربت فيها وحيداً فستشعر بالإرهاق سريعاً سينتابك إحساس مدمر بأن طاقتك أوشكت على الإستنزاف وقد تنهار نفسياً وصحياً لذلك "ابحث عن الدعم".

ابحث عن شخص صادق أمين يدفعك للأمام ويقدم لك النصح بأمانة.

قد يكون هذا الشخص قريب منك كالأم و الأب و الأخ و الزوجة و الزوج أو غيره من الأقرباء.

أو قد يكون صديق عمر تثق به.

أو يكون مرشدك النفسي الذي تخبره حتى عن أضعف اللحظات التي تمر بها خلال المشكلة التي تواجهها..

إذن..

أنت تحتاج إلى الدعم المعنوي والنفسي حين تعصف بك المشاكل الكبيرة فلا تخجل من طلبه ولا تعتبره دليل ضعف بل دليل ثقة وقوة بمن حولك وهذا سينعكس عليك بالتأكيد.

• ومضــــة

تأمل هذا الموقف العظيم وستعلم ما قيمة أن تشعر بوجود الأحبة الحقيقيين في حياتك والذين يعنيهم أمرك!

حين دخل النبي عليه الصلاة والسلام على خديجة، رضي الله عنها، وكان خائفاً وقلبه يرتجف قائلاً : (زملوني ، زملوني)، هنا يبرز الدعم القوي والمساندة المعنوية التي تخرج من قلب زوجة محبة صادقة لتستقر في قلب زوج يؤمن بكل كلمة تقولها له زوجته فيكون أثرها كبيرا في إزالة كل خوف يشعر به .. تأملوا روعة هذه الكلمات التي تبدد كل خوف قد علق بقلب حبيبنا المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه حين رأى جبريل عليه السلام لأول مرة.

" كلا ، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدا؛ إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق."

طفلة من الماضي

حين أعود بذاكرتي سنوات إلى الوراء إلى حيث تلك الطفلة الصغيرة ذات العشر سنوات وأحلام صغيرة كانت تسكن عقلها وهي ما زالت في الصف الرابع الإبتدائي وبالتحديد في حصص الفراغ التي تغيب فيها المعلمة حيث كانت ترى صويحباتها يقفزن بمرح وشغب طفولي فوق الكراسي وأحياناً الأدراج.. أو يخرجن من باب الفصل ويعدن بسرعة كنوع من التحدي والثورة على التعليمات المدرسية الصارمة، أو يرفعن أصواتهن بالأغاني التي كانت منتشرة في تلك الفترة وأحياناً كان الحماس يأخذهن فيرقصن ببراءة الطفولة..، إلى أن تشعر المديرة بوجود انفلات أمني في مدرستها فتتسلل بهدوء حتى يتفاجأن بوقوفها المرعب على عتبة باب الفصل.. وهي تصرخ بغضب هادر:- من التي أحدثت هذه الضجة؟! وطبعاً الجواب كالمعتاد:-أبلة لست أنا ويتكرر هذا الجواب على عدد طالبات الفصل... وفي النهاية ستقيد هذه الوقائع ضد مجهول..."

أقول وسط كل تلك الضوضاء كانت تلك الطفلة الصغيرة ذات الملابس البسيطة تستمتع بحصص الفراغ فتخرج دفترها المهترئ الصغير من حقيبتها وتبدأ في إكمال قصة قصيرة كتبتها أو كتابة بعض الجمل البسيطة وفي أحيان كثيرة تذهب إلى مكتبة المدرسة حيث تقرأ سلسلة قصص المكتبة الخضراء والسندباد البحري وكتب المنفلوطي..!

ذات يوم سألت معلمة اللغة العربية تلميذاتها إذا كبرتن ماذا ستصبحن وتبدأ الإجابات الطفولية المتحمسة ...طبيبة أطفال- مهندسة- معلمة- ممرضة... الخ.

إلى أن جاء دورها.. فقالت بحماس طفولي وأنفاس متصارعة:- سأصبح كاتبة كبيرة ويكتبون اسمي في التلفزيون والجرائد .. قالتها بثقة وبراءة وصدق، لكن ضحكات زميلاتها واستهزاؤهن بها أوجع قلبها الصغير المرهف أما الوجع الحقيقي فأحست به حين رأت معلمتها تضحك بشكل هستيري من حلمها الطفولي وحتى تخفي تلك الطفلة ذاك الألم الذي شعرت به حينها فقد أخرجت دفترها المهترئ الصغير من حقيبتها وكتبت به هذه

العبارة "غصبن عنكم راح أصير كاتبة" وقد ظلت محتفظة بورقتها التي تحمل قرار تحديها الخطير لسنوات عديدة إلى أن ضاعت منها للأسف أثناء نقلها أثاث من بيت لآخر.

كأني أراك قارئي العزيز تتساءل هل أصبحت تلك الطفلة كاتبة.

سأجيبك:- نعم، فأنت تحمل كتابها بين يديك الآن.

● لذلك حين يهزأ بك الآخرون فلا تحزن وأغلق أذنيك تماماً عن سماع صدى ضحكاتهم لأنك إن فعلت فلن تحقق شيئاً أبداً ثق بي يوماً ما سينبهرون بقدرتك على الصمود والنجاح.. فتوكل على ربك وخذ بالأسباب وأكمل مشوارك وحقق أحلامك واقبل التحدي!.

عذرا أبي لقد نجحت !

قصتي بدأت في هذا العالم قبل أن تبدأ حياتي حين انفصل أبي عن أمي وهي حامل بي في الشهر الأول، فتربيت في كنف جدتي وجدي ، الذي جسَّد كل معاني الأبوة التي حرمت منها بغير اختياري فلم تتلقفني يدا أبي ولم يؤذن في أذني كما يفعل الآباء ولم يتفرس في ملامحي الصغيرة لكن جدي هو من فعل ذلك هو من أغدق عليَّ من الحنان والإحتواء ما كنت بحاجة إليها فتعلقت به كطفلة صغيرة لا تفقه شيئا مما يدور حولها لكنه توفي وأنا في السادسة من عمري؛ فظللت أبكي حينها كل ليلة وأنام كيتيمة تحلم بعودة أبيها صباحاً وهكذا عرفت الألم والوجع ونزف المشاعر ولم أكن أعلم وقتها أن ذلك كان مجرد بداية لفصول قادمة كانت تستعد لرسم سيناريو حياة بائسة ستصنع مني إنسانة محطمة فاشلة لولا رحمة ربي ثم قوتي وإرادتي ، لقد رحل جدي في الوقت الذي بدأت أميز فيه بين حاجاتي واحتياجاتي، بعدها بدأت رحلة الحرمان، وما أدراك ما الحرمان ؟

حين عرفت أن جدي ليس أبي شعرت بحزن كبير، كنت أتخيل وجه أبي في كل رجل أراه يلاعب أطفاله بحنان بالغ ، في كل صباح عند باب المدرسة حين ترفع البنات كفوفهن الصغيرة ملوحات لآبائهن بكل حب ومودة وبراءة ، في كل شهر حين يطلب مني توقيع التقرير الشهري من ولي أمري ، في كل ليلة عيد حين أرى الآباء يمسكوا بأيدي بناتهن ويقيسوا عليهن ملابس العيد ، في كل ليالي المرض حين يرتجف جسدي الصغير من الوجع فأتخيل والدي يسكب الدواء لي بالملعقة ثم يحاول أن يجعلني أشربه وأنا أتمنع بدلال طفولي.. والكثير الكثير ..!

في سن السابعة تزوجت والدتي، وظللت في كنف جدتي ورغم ذلك لم ينقطع سيل الحنان الجارف الذي أغدقته عليَّ والدتي ولكن في هذه الفترة بدأ يظهر أبي ومن هنا بدأت معاناتي حيث بدأت أفقد هويتي ولم أعد أشعر بالإنتماء لأي أحد ما أصعب أن يشعر الطفل باليتم و والديه على قيد الحياة .

مرحلة تواجدي عند والدي وزوجته كانت سلسلة متصلة من العذاب النفسي وكثيرا ما كنت أتلمس جراح قلبي وأنا أتساءل أهذا هو الأب الذي ظللت أحلم به وبحنانه وعطفه ؟ أهذا هو الأب الذي سيحميني من غدر الزمان وقسوة الحرمان؟ كنت أهرع إليه حين تجتاح روحي الصغيرة وحشية زوجته أبحث عن الأمان عنده فلا أجد إلا سياط كلماته القاسية في انتظاري ، كنت طفلة مجرد طفلة حفروا فوق جدران قلبها كل بشاعة الظلم والإهانات النفسية فكم من ليلة سهرتها أرتجف رعباً مما يحمله لي اليوم القادم من ظلم وتحطيم؟ ، وكم من كابوس كان يجثم فوق صدري فأصرخ مفزوعة أبحث عن صدر أب يحتضنني ويقرأ علي القرآن ليهدأ روعي! فلا أجد أحد بجواري أبحث عنه ليمسح على رأسي الصغير علني أشعر بالأمان فلا أجرؤ حتى على الإقتراب منه ... كم تساءلت بحسرة لماذا أنا من كُتِبَ عليَّ أن أدفع ثمن زواجهما وحدي ويا له من ثمن فادح ما زال يرعبني استرجاع ذكرياته البشعة !

لقد واجهت من اضطهاد أبي وزوجته ما ليس له نظير مما سبب لي الكثير من الألم النفسي الذي لن أنساه ما حييت.. لا لأنني

لست ابنة بارة متسامحة بل لأن ما ينقش فوق الصخر لا تزيله الأمطار مهما كانت غزارتها .

في سن الخامسة عشر قرر والدي أن يزوجني من ابن عمه وباركت والدتي ذلك رغبة منها في تخفيف سطوة والدي وظلمه ومعاملته القاسية لي، ولكي أستقر وأنتمي لزوجي بدلاً من الشتات بينهما ، ويا له من شتات نفسي موجع!

لذلك تزوجت في سن الخامسة عشر كنت مجرد فتاة صغيرة لم تتخلص بعد من قيود طفولة كئيبة لم تزل تغلف سنوات عمرها القليلة كان زوجي في الثلاثين من عمره ، سأخبركم عن تفاصيل تلك الليلة التي ستظل ذكرياتها عالقة في نفسي .. كان زفافا أسودا خيم عليه الحزن والكآبة كان أشبه بالعزاء تلفت حولي أبحث عن وجه أمي أردتها أن تهمس بأذني مثل أي أم عروس أردتها أن تمسح على رأسي وتدعو لي بالسعادة.. لكنني كنت وحيدة أقبع مرتجفة وسط فستان زفاف أشبه ما يكون بكفن بارد يحتوي جسدي النحيل لم يشاركني أحد في ليلتي تلك ولم أرى أي أحد في تلك الليلة لا مدعوات ولا دفوف لا أهازيج لا فرح ولا أحد يبتسم في وجهي

ويحتويني ، فوالدتي منعها والدي من الحضور، جعل قلبها يحترق في تلك الليلة على ابنتها البكر أخذت تبحث عني في كل فندق وقصر- أفراح تجوب الشوارع مع خالي وقلبها يكاد يقفز من بين أضلعها حتى خارت قواها ولم تجدني وظلت طوال الليل تبكي، كنت أول فرحة لها وكانت تتمنى رؤيتي بثوب الزفاف، لكن ذلك لم يحدث فقد استطاع أبي أن يحرق قلب كلينا بجدارة ، لذلك ستظل أحداث تلك الليلة الحزينة تتماوج بين جدران ذاكرتي ولو كنت استطيع لهربت منها ومزقت تفاصيلها وأحرقتها، وذررت رمادها بعيداً عن حياتي ..! ولكم أن تتخيلوا مبلغ ظلم والدي فقد أقام زواجي في منزل أسرة زوجته حتى لا تحضر- أمي وأخوالي وكان عبارة عن وليمة عشاء للرجال فقط أما أنا فكنت وحدي منذ العصر- إلى المساء، عروس وحيدة في تلك الحجرة بلا أحباب بلا أصحاب بلا تهاني بلا تباريك، حتى الجنائز تكون لها هيبتها وليت الأمر توقف عند هذا الحد من الإهانة النفسية لكن أبي استولى على مهري وقد كان سبعين ألف ريال لذا لم أستمتع كأي عروس بشراء الملابس والأغراض الخاصة والعطور فلقد كانت حاجياتي مهلهلة رخيصة ترمى في وجهي رميا حين يحضروها إليّ لم أكن عروسا بقدر ما كنت

سجينة يخرجونها من قضبان سجن عتيق مظلم ليدخلونها لسجن آخر لا يقل ظلمة عنه !.

نسيت أن أخبركم أني كنت في الشهر الذي سبق زواجي في بيت والدي وحيدة شهراً كاملاً حيث زوجة والدي كانت حاملاً في الشهر التاسع وبقيت طوال ذلك الشهر في بيت أهلها، وكان والدي أحياناً ينام معها عند أسرتها ويتركاني في المنزل وحدي كنت وحيدة لا هاتف ولا وسائل اتصال، أتدرون لماذا ؟ لأن والدي كان يستمتع بحرماني من كل ما أحب - الهاتف حتى لا أتصل بأمي - التلفزيون حتى لا أجد ما يسليني – جهاز التسجيل حتى لا أستمع للأناشيد التي أحبها ، حتى القطط في الشوارع لا تفعل مع صغارها ما فعله أبي معي من قسوة وحرمان لكأنما الرحمة في قلبه نحوي شجرة اجتثت جذورها فأصبح مكانها خاويا ..مهما أسقيته سيظل مجرد تراب !

تزوجت وكنت كالمستجير من الرمضاء بالنار، كنت مجرد طفلة تحاول تلمس طريقها وسط الظلام وحيدة كنت بلا معين ، ومن فضل الله كان زوجي طيب جداً وأحبني، لكن أهله بدؤوا

يمارسون أشد فصول الظلم ضدي ، في تلك الفترة جعلوني بمثابة خادمة في منزلهم ، وتساءلت ذات يوم حين كدت أختنق من هول الضغوط عليّ هل أستسلم ؟ هل أرضى أن أكون مجرد دمية من خشب يربطونها بخيوط معلقة ويمسكونها بأيديهم ويحركونها كيفما شاؤوا ؟! هل سأراقبهم وهم يدونون أحكامهم السلبية الظالمة فوق صفحات حياتي ؟! وقفز الجواب رغما عني : يكفي ما مضى فإما أن تكوني أنت وإما أن تكوني مجرد ظل للآخرين ، مجرد أثر لأقدامهم الغائرة فوق تلافيف قلبك بلا رحمة ..!

اتخذت أول قراراتي الشجاعة وقررت أن أكمل دراستي وكما توقعت قوبلت بالإضطهاد، بكل أنواعه، بما في ذلك منع السائق من توصيلي إلى المدرسة، وهكذا هم الخانعين حين يرفعون رؤوسهم سيجدون ألف سيف مسلط على رقابهم ليعيدها إلى انحناءة الذل والإنكسار لكنني كنت قد قررت وانتهى الأمر وأسدلت الستار على تلك الإنسانة التي تقاذفها الجميع بلا رحمة وكل يُحدِّث نفسه بالخلاص من تبعيتها .. ولم يعلموا وقتها أن الألم كان يكبر في داخلي ككرة ثلج تتدحرج من أعلى قمة جبل وتستعد

لتحطيم كل حاجز قد يوقفها فيما بعد ... ولذلك رغم محاربة أهل زوجي لي لإكمال تعليمي إلا أني لم أرضخ لضغوطهم وقررت أن أنتسب! .

ساندتني أمي في قراري وكذلك خالي الذي أعتبره من فضل الله والدي الروحي وأكملت المرحلة الثانوية وأنجبت ابني البكر في هذه المرحلة، ثم قررت الإلتحاق بالجامعة ولكم أن تتخيلوا كم من الإستهزاء والمثبطات التي تعرضت لها، ولو كان شخصاً غيري لأيقنت أن مصيره اليأس والفشل .

التحقت بالجامعة وفي السنة الثانية أنجبت طفلي الثاني واستأنفت الدراسة إلى ما بعد الولادة ولكن لم يحالفني الحظ فبعد أن أنجبته بشهرين فقط حملت بالطفل الثالث مباشرة وبعد أن أنجبت طفلي الثالث عدت لاستكمال دراستي، وحدي بدون خادمة تساعدني ورغم ذلك لم أتراجع ولكني اكتشفت أن ابني البكر مصاب بمرض السرطان، فمكثت عامين معه حتى منَّ الله عليه بالشفاء، هذه التجربة غيرت كل ملامح شخصيتي، تعلمت فيها الكثير من الدروس لا يمكن وصف الآلام التي ذقتها في هذه

الفترة فبالإضافة إلى قسوة المرض كان البشر أقسى منه بكثير في هذه المرحلة خذلني الكثير، ولكن من فضل الله كنت شجاعة بما يكفي لمواجهة هذا الإبتلاء رغم أن هناك الكثير من التفاصيل التي تدمي القلوب .. من أبسطها أن والدي لم يزرني خلال الأشهر العديدة التي مكثتها بالمستشفى مع طفلي غير مرة واحدة ولدقائق معدودة لكأنما هو يؤدي واجبا مقيتا أو لكأنما هو يسير فوق شوك الأبوة المزيفة .. !

وزيادة على هذه العقبات فقد كنت أعاني من الفقر والحاجة، كانت والدتي وخالي يساعداني في تلبية بعض احتياجاتي، وكنت أبذل الأسباب لأكسب محبة أسرة زوجي وولائهم ولكن لا فائدة، حتى آمنت بأنه الحسد الذي لا يرضى عنك أصحابه إلا إن زالت عنك نعم الله تعالى ... وأصبحت ذليلاً كسيراً لا همة لك ولا أمل في الحياة!

كل العداوة قد ترجى مودتها

إلا عداوة من عاداك من حسد

أنهيت دراستي الجامعية ولله الحمد بعد عناء دام سنوات ، وفي هذه المرحلة أنجبت اثنين من أبنائي، قررت العمل حيث أصبح

عدد أبنائي خمسة أطفال وبدأت متطلباتهم تؤرقني، فكل أملي أن يعيشوا حياة كريمة لا سيما أن راتب والدهم ضعيف جداً، فقد كان راتبه ١٧٠٠ ريال تخيلوا ثم بعد عشر سنوات عجاف أصبح ٤٠٠٠ ريال كيف تعيش أسرة مكونه من ٧ أشخاص بهذا المبلغ الزهيد ؟

قررت أن أعمل كمعلمة في مدرسة أهلية براتب ١٥٠٠ ريال، كنت أصرفها على أبنائي وألبي احتياجاتهم، إلا أني كنت أمتلك موهبة التصميم والإبداع منذ طفولتي فكنت أكلف بالترتيب والتنسيق لأي مناسبة وكنت المستشارة في اختيار الملابس والديكور لأسرتي، قررت أن أستثمر هذه الموهبة فبدأت أعمل من المنزل في تنسيق المناسبات وترتيب هدايا المواليد، وما أن بدأت حتى أُعجب الجميع بدقة عملي وغرابة أفكاري، وأيضاً واجهت الإضطهاد في هذه المرحلة، لدرجة إني توصلت إلى قرار بإبعاد كل شخص قد يؤثر سلباً على حياتي وطموحاتي ويُثني من عزيمتي أو يزعزع ثقتي بنفسي، وفعلاً قمت بعمل "فلترة" لتنقية حياتي من كل الأشخاص السلبيين الذين يسحبوني نحو الوراء ولا أخفيكم أنه كان قراراً صعباً ولكنه كان موفقا من فضل الله تعالى .

كتبت لكم المحطات الرئيسية في حياتي لا التفاصيل فالتفاصيل مؤلمة إلى حد الجنون الذي قد لا تصدقه عقولكم البشرية.

اليوم ومن فضل الله تعالى أنا أم لخمسة شباب يضرب بهم المثل، ابني الذي أصيب بالسرطان تخرج من الثانوية وسافر لاستكمال دراسته الجامعية في أمريكا، أسست مؤسستي الخاصة واليوم تطورت إلى مجموعة شركات متميزة وناجحة ومعروفة، أنا الآن وباختصار .

١- المؤسس والرئيس التنفيذي لمجموعتي المشهورة .

٢- عضو لمجلس تنفيذي.

٣- مستشارة في مجموعة مجتمعية

٤- مصممة محترفة (يطلق علي الناس دائماً اسم المبدعة) حتى ارتبط هذا باسمي.

٥- مدرب دولي معتمد.

٦- عضو في عدة لجان.

٧- تكرمت من عدة جهات.

٨- وحالياً طالبة ماجستير تخصص إدارة مشاريع.

لدي رسالة أحب أن تصل لكل من يقول أنا لا أستطيع أو يعزو فشله للظروف، لو استسلمت لظروفي لكنت اليوم في مصحة نفسية ألعق جراحي وأمسح دموعي وأنظر بحسرة لأيامي الضائعة واستسلامي لأحكام الآخرين .

أخيراً هل تريدون أن تعرفون أحلام اليقظه التي كنت أعيشها في مراهقتي والتي اختلفت فيها عن باقي البنات؟

كنت أحلم أني أمتلك شركة كبيرة وأني سيدة أعمال، ولدي سكرتيرة خاصة وموظفين وموظفات تخيلوا أنا اليوم كذلك .. اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا ولك الحمد على كل حال..

قصتي تحمل الكثير من الصراعات بدأت بالحرمان ثم الألم ثم لحظة القرار ثم الإصرار ثم النجاح .

لقد مررت في حياتي بمنغصات وصدمات وآلام ولكني رفضت في لحظة ما أن أهرب منها بل فضلت أن أواجهها بكل شجاعة لأني كنت واثقة أن ما مررت به لم يكن حلما يمكنني الإستيقاظ منه ونسيانه بل كان واقعا واجهته وتغلبت عليه من فضل الله تعالى ثم قوة إرادتي .. لذلك أقول لكل من مر أو يمر بمثل

ظروفي تستطيع أن تنجح وتحقق كل ما تريـد ولكـن بشرـط أن تثـق بالله تعالى ثم بنفسك .. وأن لا تجعل تقييمات الآخرين هي من تحـدد مصيرك!

● إضـــاءة:

● حين تغرب الشمس في بقعة مـا في هـذا العـالم فستشرـق في بقعة أخرى فتذكر هذا حتى لا يخيفك الظلام.

● أرسل بطاقة عرفان لكل من خـذلك وقـت الأزمـات لأنـه جعلك تتعرف على الوجه الآخر لصـورته الحقيقيـة عنـدما زجَّ بك في معارك الحياة التي انتصرت بها على خذلانه لك.

فكِّر بهدوء

- الصمت قد لا يكون حكمة أحياناً بقدر ما يكون صراخ لم يسمعه أحد لذا احرص أن يصل ما تود قوله إلى الآخرين.
- أحياناً نتعلم أشياء كثيرة جداً ونعشقها حد الجنون ونؤمن بها حتى إذا ما أقبلت علينا عواصف الحياة وجعلتنا وجهاً لوجه أمام كل ما تعلمناه وآمنا به فإننا نكون أمام خيارين إما أن نطبق فعلاً ما آمنا به وحاربنا من أجله أو نرميه وراء ظهورنا ونسحق كل معنى جميل له وهنا تكون لحظة الصدق مع النفس .
- انظر لنفسك في المرآة واسألها بصدق هل أنت راضٍ عن تقديرك لذاتك وعلى حسب الجواب ستبتسم أو تعبس؟!
- أنت تملك الكثير من القدرات الهائلة فاستثمرها ولا تحزنك البدايات المتواضعة فالعبرة دائماً بكمال النهايات.

اجعل خطتك مرنة!

اتصلت بي شابة مؤلفة شعرت من صوتها بخيبة ألم ونبرة توحي باليأس والإحباط، قالت لي:-لقد قمت بتأليف كتاب في تطوير الذات بشكل مبتكر لم يسبقني إليه أحد وبإخراج جذاب يشد القارئ المتعطش لهذا النوع من الكتب بالإضافة إلى سعره المتواضع مقارنة بتكاليفه التي أرهقتني مادياً وأسندت أمر توزيعه إلى مؤسسة متميزة ولكني أصبت بالحزن الشديد حين علمت بالأمس أن مبيعاته لم تتجاوز المائة نسخة رغم مرور ثلاثة أشهر كاملة على وجوده بالمكتبات وغيرها، فهل أنا فاشلة، وهل كان يجب أن لا يكون سقف طموحي كبيراً لهذا الحد؟، وهل كنت مخطئة حين وضعت هدفاً أن أكون كاتبة وأصررت على تحقيقه، أنا أشعر بخيبة الأمل والإحباط واليأس الكبير؟!

أجبتها:-أنت لم تكوني مخطئة في سقف طموحك ولا في الرغبة الشديدة لتحقيق هدفك، لكن مشكلة الكثيرين ممن يضعون لهم خطة معينة أنهم يستمرون في تنفيذها رغم عدم جدواها في فترة ما، لذلك حين لا تنجح خطتك فغير من إستراتيجيتها!

فأنت قمت بكل ما من شأنه أن يضمن نجاح كتابك ولم تتركي شيئاً للظروف بل وتعتقدي أن تمسكك بخطتك كفيل بالنجاح الذي ترغبين به فاخترت مادة مرغوبة وتصميم جميل وإخراج جذاب ودار توزيع متميزة.. وحين لم ينجح الأمر اكتفيت باستقبال المشاعر السلبية وكأنك بذلك تعاقبين نفسك على إخفاق الكتاب ولكن الإستسلام لمثل هذه المشاعر سيعيقك عن التفكير السليم فاستبعديه تماماً من خريطتك الذهنية حتى لا تستقر تفاصيله السلبية في ذهنك.

قالت: ماذا أفعل إذن؟

قلت لها:-غيري من خطتك واجعليها دوماً مرنة تحسباً لأي ظروف لم تكن متوقعة.. سأعطيك مثالاً بسيطاً وأترك لك التفكير ببقية الأمر، أنت لم تحدثيني عن الدعاية للكتاب من خلال الملصقات والتسويق والإعلان وغيرها فربما لم يعلم القراء عن وجود كتابك أصلاً.

قاطعتني قائلة بحماس: صدقتي أستاذتي لم أفكر بالأمر هكذا من قبل.

قلت لها: -إذن انظري للأمر نظرة شمولية وستجدين كيف أن الأمور ستتحسن؟

بعد ستة أشهر هاتفتني لتزف لي بشرى نفاذ الطبعة الأولى من المكتبات.

* إذن عندما لا تسير الأمور كما يجب غيِّر من خطتك ولا تجعلها جامدة، فتفكيرك بعين الإنسان الإيجابي يجعلك ترى الحل أمامك بينما تفكيرك بعين الإنساني السلبي المحطم لن يجعلك ترى سوى الفشل والسوداوية ولو كان الحل أقرب إليك من أرنبة أنفك..!

لا تقارن نفسك بالآخرين

●هل تبحث عن دواء أكيد لجراحك؟
هل تتألم بصمت وتود أن تشعر بالطمأنينة؟
هل سئمت من الإحساس بخذلان الناس لك؟
إذن أطرق أبواب السماء وقل يا رب.

● إن شعرت بخذلان من تحبهم وانكسار خاطرك فتذكر حبيبنا محمد عليه الصلاة والسلام حين خذله أهل الطائف وحاربه أعمامه وقومه وقبائل العرب كافة فلا تجعل الحياة تضيق بك وقل يا رب!

● ستقتل نفسك إن جعلتها نسخة طبق الأصل من غيرك لذا لا تسمح لأي كان أن يقارنك بأحدهم فحتى بصمة التوائم تختلف وإن تطابقت قسمات وجوههم!

● أنت من تحدد قيمة نفسك فلا تحتقرها حين ترى فخامة الآخرين فلو كانت القيمة تقاس بالأوزان لكانت الصخور أغلى من الألماس!

● لا تقل (نعم) في نفس الوقت الذي ترغب أن تقول فيه (لا) حتى لا ترزح تحت ضغوط ستنفجر بك يوماً ما.. فنفسك إن لم تحبها بصدق فستعذبك!

● إيجاد الايجابيات من خلال الأمور السلبية هو فن يجب أن يجيده الجميع فغبار الرياح المزعج يحمل بذور لقاح تزهر بها الأشجار ثماراً يانعةً شهيةً.

● لا تستعجل النتائج في بداية أي مشروع تقوم به بل ركِّز على تحقيق أهدافك جيداً وثابر من أجلها ولا تعلن فشلك أو تستبطيء النجاح.. فهو آتٍ بإذن الله تعالى لا محالة، فما دمت تعمل بجدٍ واجتهاد فل يخيب الله عملك أبداً.

● احتفل بإنجازاتك اليومية الصغيرة ولحظات نجاحك البسيطة وردد دوماً بصوت واضح أنا أؤمن بنجاحي.

● لا تجعل من التهكم والسخرية التي يقابلك بها البعض سبباً في هبوط معنوياتك وجعلك إنساناً سلبياً يرتعد من الإنتقاد بل أرفع رأسك وكن واثقاً بربك ثم بنفسك.

صانعة الكليجا

من عادات بعض العائلات في منطقة القصيم إهداء العروسين وبعض أقاربهم شيء من الأكلات الشعبية التي تبقى لأيام دون أن تفسد مثل (الكليجا ، المعمول) وكان هناك نساء معروفات ببيعه .وسأخبركم بما حدث لي عند زواج ابنتي حيث لم أتمكن من طلب الكليجا قبل الزواج بوقت كافٍ ، وكنت كلما ذهبت لواحدة من هؤلاء النسوة اللاتي كن يصنعنها كنت ألقى منها توبيخا وكلاما سيئا ، لأني تأخرت كثيرا في طلبها والوقت لا يسمح لها بأن تنجز ما طلبته منها.

كنت في كل مرة أعود لمنزلي مكسورة الخاطر وحزينة لأن الأيام تركض سراعاً وزواج ابنتي يقترب ولا أجد واحدة من صانعات الكليجا تقبل أن تتفهم ظروفي وتلبي احتياجي وتنقذني من الورطة التي وجدت نفسي فيها رغما عني لكن يقول الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ البقرة: ٢١٦

ولا أخفيكم أن فكرة مشروع خاص بي كانت تراودني منذ كنت طفلة صغيرة حيث عشت يتيمة وكثيراً ما كنت أحتاج إلى مال ولا أجده.. وربما كانت المواقف المؤلمة والكلمات السيئة التي سمعتها من كل واحدة رفضت مساعدتي في صنع الكليجا جعلتني أظن أن الوقت قد حان لتحقيق حلمي .. كانت هذه المواقف فاتحة خير حيث قررت بعدها أن أعمل كليجا بنفسي ، اشتريت ما يلزم من أغراض صنع الكليجا من بر وعسل وليمون وغيرها ، لكن المشكلة التي واجهتني أني لا أعرف كيف أصنعها .!!

ووجدتني رغماً عني مضطرة أن أتواصل مع أكثر من امرأة لأسألها عن كيفية صنع الكليجا .. ومن المضحك المبكي أن واحدة تزيد وأخرى تنقص في المقادير ، فقد كن يخشين أن أجيد صنعها فأتفوق عليهن وأكون أكثر منهن مهارة وجودة فيتسبب ذلك في خسارتهن لزبائنهن!

في كل مرة كنت أصنعها حسب وصفاتهن المغلوطة والتي كن يقصدن فيها إفساد صناعتي كنت أخرج بنتيجة أسوأ من التي قبلها.. لذلك قررت أن أتوكل على الله وحده ثم على خبرتي

المتواضعة وإمكاناتي واجتهادي البسيط والأهم ثقتي الكبيرة بنفسي وقدرتي على النجاح مهما تكررت محاولاتي .. لذلك صرت أضع المقادير من عندي وبمساعدة بناتي إلى أن بدأت تتحسن وصفاتي وقبل زواج ابنتي كنت قد أجدت صنع الكليجا بمهارة كبيرة وربما تفوقت على صانعات الكليجا أنفسهن اللاتي كن ينتقدنني بقسوة.. حازت الكليجا التي صنعتها والمعمول على إعجاب كل من أهديتها لهم واندهشوا من مهارتي العريقة والطعم اللذيذ والحرفية العالية وقد كنت حريصة على الإستفادة من أي ملاحظة تصلني، وبعد انتهاء زواج ابنتي بدأت في وضع الأساس الأول لمشروعي الذي كان حُلماً تم تأجيله مرات عديدة وبدأ المشروع يكبر شيئا فشيئاً وأصبح لي زبائني الذين لا يشترون إلا مني لثقتهم بجودة الكليجا والمعمول اللذين أصنعهما وأصبح لي صيت وشهرة وبدأ الناس يعرفوني وانهالت عليَّ الطلبات من القصيم ومن خارجها ، ونظرا لكثرة الطلبات اضطررت أن أجهز مكانا أكبر من مطبخي الخاص.

فاشتريت أفران خاصة وجهزت معملاً متكاملاً عبارة عن غرفتين ملحقتين بالمنزل ، وفي كل يوم كنت أخرج من تلك الغرفتين بمبلغ رائع ظللت أعمل في هذا المشروع قرابة عشرين عاما أو تزيد قليلاً ، حققت من خلالها اكتفاءً مادياً وسمعة طيبة في مجال صنع الكليجا وتقديراً ذاتياً رائعاً لنفسي.. وبعدها توقفت لكبر سني وعجزي .. والآن تكفيني همسات أحفادي الصغار لتعيد لي شيئا من تلك الأيام (ماما نورة اشتقنا للكليجا من يدينك).

ذاك جزء من حياتي ربع قرن تذوقت فيه طعم الكفاح والنجاح ، أيام قاسية لكنها جيدة المذاق بنجاحنا.. تذوقوها فحياتنا تستحق .. وحين تسمعون الكلمات السيئة من الآخرين فلا تحزنوا بل اجعلوها مثل الوقود الذي يلهب حماسكم لتنطلقوا بقوة نحو العمل والإنتاجية والنجاح ..!

واعلموا أن أيام الكفاح ستصبح ذكريات جميلة .. تماماً كما أعيشها أنا الآن ..!

اعبر بثقة

● هل راقبت أحد أعمدة الإنارة ليلاً أرأيت جماعات البعوض التي تحيط به أتظن أنها قادرة على إسقاطه؟ إذن اعلم أن النقد الجارح لا يسقط الناجحين!

● علمتني الحياة أن الأمل مثل ضوء يلمع من بعيد في نهاية نفق مظلم وكلما اقتربت منه ازداد توهجاً فاعبر بثقة دون أن تتراجع خوفاً من ظلام النفق!

● حين تجتمع عليك فجأة ظروف سيئة سوداوية فقم فوراً بتغيير اتجاهك الذهني وفكِّر بإيجابية وابحث عن بدائل توفر لك نتائج أفضل ولا تحشر نفسك في خيار واحد فذلك سيصيبك بالإحباط والحزن والعجز.. حرر بصرك وانظر بعيداً وأطلق العنان لأفكارك الإيجابية مع حسن الظن بخالقك المتفضل.

مــرارة الخـيانـة

سوف أحدثكم عن بداية مأساتي منذ بدأت أعي ما حولي وأنا في الرابعة من عمري فكثيراً ما كنت أصحو مفزوعاً على صراخ أمي وأبي يكيل لها الضربات وهي تحاول أن تدافع عن نفسها بعنف لا يقل عن عنف أبي.. مما جعل الفزع والذعر رفيقي الدائم في كل وقت لأن أي هدوء يعم المكان هو نذير بقرب العاصفة التي ستقتلع كل ما يعترض طريقها بما فيه أماني واطمئناني النفسي والذي كدت أفقده إلى الأبد.. وحين بلغت السادسة من عمري كان التبول اللاإرادي ليلاً قد أصبح مرضاً يلازمني.. مع حرصي على عدم التبول كي لا ينصب عليَّ غضب أمي الغاضبة أصلاً دوماً على أبي وعليَّ أنا وإخوتي وجميع المجتمع من حولها ولكن بلا فائدة فكثيراً ما كنت أصحو وقد بللت ملابسي وفراشي وأحياناً كنت أبدل ملابسي لوحدي خوفاً من عقاب أمي وفي أحيان كثيرة كنت أنام وأنا أرتجف برداً في ليالي الشتاء الطويلة والبلل يغطي جسدي خوفاً من أن أُحدث جلبة وضوضاء قد تثير غضب أمي.. ولكن كثيراً ما تساءلت لماذا يضرب أبي أمي دائماً وما السبب في ذلك.. وفشلت في العثور على الإجابة...؟!

ولكن حين بلغت العاشرة من عمري عرفت السبب وليتني لم أعرفه فما زالت تفاصيل ذلك اليوم الأسود راسخة في ذهني لا تكاد تفارقه مما تسبب بمأساتي والتي كادت تقضي على حياتي كلها فيما بعد.!

ففي يوم ثلاثاء حزين توفي عمي في قريته البعيدة عن قريتنا.. مما أرغم أبي على السفر فجأة إلى أهله هناك ليشاركهم أحزانهم ويقف معهم لتقبل العزاء في شقيقه، حزم أبي أمتعته البسيطة على عجالة من أمره وودعنا بصمت وعيناه تفيض منهما دموع الحزن على شقيقه.. لم أرى أبي حزيناً كما رأيته في ذلك اليوم لقد عشت سنوات عمري العشر وأنا أعتقد أن الرجل لا يبكي أبداً لأن عينيه ليس فيهما دموع مثل المرأة.. ولكني رأيت دموع والدي الحبيب وهي تنسكب على وجنتيه بصمت أبلغ من أي كلام..!

سافر أبي ولم أر أمي حزينة لفراقه بل بالعكس خيل إليَّ أنها كانت سعيدة لفراقه، واكتشفت سريعاً أن سعادتها لم تكن خيالاً بقدر ما كانت حقيقة، فبعد رحيل أبي بساعة واحدة طلبت مني والدتي أن أخرج أنا وإخوتي الصغار لنلعب بالشارع أو أي مكان يحلو لنا.

استغربت من طلبها والذي كانت لا تجرؤ أن تفعله لو كان أبي موجوداً.. ولكن سعادتي بالخروج إلى اللعب أنستني دهشة استغرابي، ساعة كاملة من اللعب في شوارع الحارة مع رفاقي.. جعلت العطش يتسلل إلى حنجرتي فشعرت بأن ريقي جافٌ تماماً مما دفعني إلى العودة للمنزل لأشرب ماءً، طلبت من أخي الأصغر مني أن ينتبه إلى إخواني الصغار حتى أشرب ماء من البيت ثم أعود.. دخلت إلى المنزل والذي كان بابه موارباً بعض الشيء.. على غير العادة.. تسللت إلى المطبخ خوفاً من أن تراني أمي ثم تنادي عليّ وعلى إخوتي فننحرم من فرصة اللعب في شوارع الحارة ولكني لم أرها لابد وأنها تُنظف المنزل.. فقفلت راجعاً ولكن صوت ضحكات خافتة جعلني أتوقف إنه صوت أمي وهي تضحك.. هل يا ترى زارتها إحدى جاراتها وهي تتبادل أطراف الحديث معها.. سرت عدة خطوات ولكن أصوات همهمة وضحكات رجولية جعلتني أتسمر مكاني.. أيعقل أن يكون أبي غيَّر رأيه ولم يسافر.. ربما ولم لا.. ولكني لم أسمعها تضحك مع أبي من قبل بهذا الشكل المتناغم.. وكالزيت المغلي حين يصب على الجرح النازف سمعت صوتها بتغنج

ودلال وهي تقول "يوه... يا خالد..." وبخطوات مرتجفة وقلب يدق بعنف وجسد يرتعش سرت إلى غرفة نوم أمي وفتحت الباب كنت مثل من يخشى مواجهة أمر يعلم أن به نهايته ورأيتها رأيت أمي في أحضان رجل آخر غير والدي وهي تضحك بغنج ودلال.. وحين شاهداني فزعا برعب وأسرعت أمي تغطي جسدها بمفرش السرير أما هو فأسرع يرتدي ملابسه على عجل.. وهما لا يعلمان كيف يتصرفان من هول الصدمة وبأرجل مهزوزة ثقيلة اقتربت منها وبصقت عليها وعليه.. وأنا أردد بهستيريا "سوف أفضحك عند والدي سأخبر المسكين أنك تدخلين رجلاً في غيابه و.."وقبل أن أكمل أسرع عشيقها وأمسك برقبتي من الخلف بعنف تخيلت معه أن شراييني ستنفجر من قوة الضغط وهو يهددني بصوت أشبه بفحيح الأفعى "لو نطقت بكلمة واحدة فسأقتلك أتسمع.. ثم ألقي بجثتك في بئر "الفلاني" المهجور"؟! شعرت بثقل برأسي وأنه سيغمى عليَّ من شدة قبضته على عنقي الصغير رفعت عيناي إلى أمي لأرجوها أن تدعه يبتعد عني.. ولكني فوجئت بها تقترب من وجهي وتمد يدها إلى أذني وتلويها بشدة وهي تقول "أتسمع ما قاله

وأنا سأساعده في ذلك، حتى لو أخبرت والدك فإنه سيفعل ما قاله ولن ينفعك حينها والدك، دفعني بقوة فارتميت على الأرض ، وأنا أسعل بشدة وأتنفس بسرعة بعد أن كدت أفقد الهواء.. ثم أمسكت بي أمي من عند ياقتي وهي تجرني ودفعتني بعنف خارج غرفتها وأغلقت الباب وهي تبصق عليّ وتقول: "اذهب إلى إخوانك ياحمار"..!

انزويت عند باب الغرفة وأنا أبكي بصمت وقهر وأضع يديّ على أذنيّ حين سمعت همهماتهما من جديد.. وضحكات أمي التي لم تحفظ حُرمة زوجها ولا شرفه.. لو علمت يا أبي المسكين أن شرفك يُداس وكرامتك تتبعثر على فراشك الزوجي في حين أنك تقف حزيناً في عزاء أخيك.. فماذا كنت ستفعل؟.

شعرت أن القهر في داخلي يكبر رويداً رويداً حتى عجزت عن تحمله. فوجدتني أتجه إلى المطبخ وأكسر الأواني الموجودة فيه وأحطم النوافذ الخشبية بكل عنف وأمسك بإبريق صيني كانت أمي تحبه كثيراً وتقول أنه هدية من شقيقتها وأرميه على الأرض ليتناثر قطعاً كبيرة.. وأمسك بكل قطعة وأقذف بها نحو الحائط حتى تتناثر

لأجزاء صغيرة.. لابد أنه هدية من عشيق ما.. شعرت بأنني أنهار وأن نبضات قلبي تزداد عنفاً حتى لم أعد أستطيع التنفس.. فارتميت على الأرض دون أن أعير قطع الإبريق المتناثرة أدنى اهتمام وظللت أبكي وأبكي بحرقة حتى رأيت أمي واقفة على باب المطبخ وهي تنظر إلي بغضب قائلة "يا مجنون ماذا فعلت.. لم تفعل هكذا بالأواني.. لم تكسرهم يا أبله؟ وانهالت عليَّ بالضرب وأنا لم أُحرك ساكناً فقد تبلدت مشاعري فجأة وأنا أهمس لنفسي "وانكسار صورتك في نظري من يصلحه وانهيارك في ذاتي من يرممه.. إنني أكرهك.. أكرهك.. بقدر ما أشفق على والدي المسكين" ثلاثة أيام غاب فيها والدي.. غاب خلالها عني كل معنى جميع للشرف والإخلاص والوفاء.. لابد وأن جميع النساء تفعل ما تفعله أمي في غياب زوجها هكذا تخيلت وهكذا تصورت وهكذا ظل هذا الأمر راسخاً في ذهني فيما بعد! وحين جاء أبي ارتميت في حضنه وأنا أبكي بمرارة أحسست بطعمها في فمي.. تمنيت أن أخبره بما حدث ولكن تهديد ذلك السافل ما زال يرن في أذني.. خفت من الموت ولكنني أحسست بأني جبان.. أما أمي فقد استقبلت والدي بالفرح والسرور على غير العادة وهي في كامل زينتها وجمالها المدنس الملطخ

بالوحل في نظري.. وكثيراً ما استغرب أبي من هذا التحول المفاجئ ولكني رأيت السرور يرتسم على محياه وهو سعيد بأمي وبتغيرها ولكني فهمت أخيراً لماذا كان أبي يضرب أمي.. فقد كان يشك بها أحياناً حين يأتي فجأة إلى المنزل فيجدها واقفة على الباب بلا سبب معين.. مما يجعله ينهال عليها ضرباً لأنه كما قال تأتي بالشبهات إلى منزله.. وكان يحذرها في ذلك فكيف لو علم أبي بما حدث في غيابه؟! وظلت أمي على عادتها تماماً فحين كان أبي يتغيب عن المنزل تحضر رجلاً غريباً إلى بيته وفي فراشه والغريب في الأمر أنها كانت تبدل عشاقها في كل مرة كما تبدل ملابسها.. عشر سنوات مرت وأنا أعاني فيها من القهر والألم ولا أعرف كيف أتصرف وقد أصبحت رجلاً في العشرين من عمري هل أخبر أبي بحقيقة أمي المدنسة وهو المصاب بالضغط المرتفع والسكر.. وأخشى أن يهلك بسببي.. أم هل أسكت عن تصرفاتها المحرمة وقد أصبحت رجلاً.. ولكن الله يشاء بقدرته أن يريحني من هذا الصراع النفسي العنيف حين يأتي أحد الجيران الثقاة ويخبر أبي بما يحدث في بيته وفي غيابه.. وإن أنسى فلا أنسى إطلاقاً هذا اليوم الحزين.. فقد حضر أبي إلى المنزل وهو يتأرجح مهزوزاً وإخواني يسندون جسده المرتجف ويجلسونه بكل

مشفقة على الكرسي المهترئ فينادي أمي بصوت واهن أضعفته الصدمة.. ويطلب منها أن تجلس أمامه..

ويسألها سؤالاً محدداً: أستحلفك بالله العلي العظيم هل يوجد من أولادي من هو ليس من صلبي ومن لحمي ودمي؟! تفاجأت أمي بسؤاله لكنها أجابت بثقة: يشهد الله أنهم أولادك من لحمك ودمك، وبريق ناشف تماماً وصوت واهن ذليل، وعينين فيهما ظلال انكسار وفجيعة. قال لأمي: اذهبي فأنت طالق طالق طالق..

لملمت والدتي أغراضها ورحلت إلى بيت أهلها ولم أرها منذ ذلك الحين أما والدي المسكين فقد أصيب بجلطة قلبية دخل على إثرها العناية المركزة لمدة عشرة أيام ثم انتقل إلى جوار ربه.. شاكياً إليه خيانة الزوجة وغدرها وتدنيسها لشرفه ووجدت الظروف تحتم عليَّ أن أبحث عن عمل بجانب دراستي الجامعية حتى أتمكن من إعالة إخواني الأربعة وحمدت الله كثيراً على أنه لم تكن عندي أخوات بنات.. وبعد سنة من وفاة والدي تمكنت من استئجار منزل صغير لنرحل عن منزلنا الكئيب الذي شهد أقسى مراحل حياتنا والذي كان يخيل إليَّ أن أرضيته نهر من الوحل والقذارة. حتى أنني كنت أحياناً أرفع ثيابي لئلاً تتسخ بترابه المدنس.!

عشرون عاماً مرت بحلوها ومرها بعد وفاة والدي استطعت خلالها أن أعبر بإخواني شاطئ الأمان وأوصلهم إليه بكل نجاح دون أن أفقد أحداً منهم في طريق الحياة الشائك فجميعهم تخرجوا من الجامعة واحتلوا مراكز مرموقة وقمت بتزويجهم بفتيات من عوائل طيبة ومحافظة لئلا تتكرر مأساة أمي..

وحين غادر أخي الصغير منزلنا كنت في الأربعين من عمري.. لن أحدثكم عن سنوات الكفاح التي تحملتها فهي تحتاج إلى مجلدات قد لا يتسع وقتكم لقراءتها.. ولن أحدثكم عن تلك الليالي الطويلة حين كان يمرض أحدهم وهو صغير فأضع الكمادات على رأسه وهو يردد "ماما.. ماما" من شدة الحرارة وكم كان الألم يعتصر قلبي حين أسمع ذلك؟ فحتى الكلاب الشاردة في الشوارع لا تنس صغارها.. أما أمي فقد نسيتنا تماماً لتنتقل من زوج إلى آخر.!

ولن أحدثكم عن الضغط النفسي الرهيب وقت الإختبارات وكيف كنت أنتقل بينهم أُدرس هذا وأُساعد هذا وأراجع مع هذا.. ثم بعد ذلك أعود لمراجعة دروسي بعد أن أكون قد أُنهكت تماماً وكم

من يوم مرَّ عليّ وقد ذهبت فيه إلى اختباراتي دون أن أنام أو يغمض لي جفن خوفاً من أن أفشل وأتعثر في مشواري.. ولن أحدثكم عن الأعياد سواء عيد الفطر أو عيد الأضحى وكيف كانت تمر عليّ أنا وإخواني دون أن نشعر بأن هناك من يشاركنا أفراحنا سوانا نحن.. ولو رأيتم منظري حين أذهب معهم لشراء ثياب العيد أو الأضحية في عيد الأضحى لجرت دموعكم أنهاراً ولاعتصرت قلوبكم الشفقة والرحمة علينا.. ولن أحدثكم عن الأيام التي قمت فيها بتزويج أشقائي وكيف كنت أشتري لهم حاجياتهم وأقوم بتأثيث بيوتهم معهم وكيف كنت أقف معهم وألعب دور الأب والأم معاً؟! تلك الأم التي جعلتني أدفع ثمن انحرافها من سنوات عمري الضائعة.. لقد انتهت مسؤوليتي تماماً من ناحية إخواني واستطعت بفضل الله أن أصل بهم إلى بر الأمان دون أن تكلف أمي نفسها عناء السؤال عن أحوالنا في هذه الدنيا.. وأصبحت وحيداً في منزلنا الذي شهد ذكرياتنا سواء الحلوة منها أو المرة، وهذا ما أقلق إخواني.. فاجتمعوا ذات يوم لديّ في المنزل ليعرضوا عليّ فكرة الزواج من أي فتاة أختارها وكأنني أصبت بصعق كهربائي مفاجئ فقد صرخت فيهم مستحيل لا هذا ما لن أفعله أبداً.. إنني راضٍ عن حياتي هكذا ولا أريد منكم شيئاً إطلاقاً.. ولست بحاجة إلى شفقتكم من تظنون

أنفسكم حتى تقرروا لي ما تشاءون!! وإن أنس فلن أنس دموع الألم التي ترقرقت في عيونهم جميعاً بلحظة واحدة.. فأسرعوا إلي يحتضنوني ويقبلون رأسي ويديَّ وأخي الصغير أراد أن يُقبِّل رجلي فرفعته إليَّ بقوة، واحتضنته وظللنا نبكي معاً لا أعلم كم من الوقت.. ولكنهم استطاعوا إقناعي أخيراً بضرورة أن أتزوج حتى يمكنهم أن يشعروا بالراحة من ناحيتي ولا يقلقوا عليَّ فرضخت لهم على شرط أن يتم اختياري أنا للزوجة المناسبة وعلى حسب شروطي -أن تكون قد أنهت تعليمها ولا تعمل موظفة أن لا تخرج إلا بإذني.. لا أريدها من تلك الفتيات المتحررات بل أريدها من عائلة محافظة جداً.. و.. و.. و.. إلخ.

قام إخواني بتجنيد زوجاتهم للبحث عن زوجة بهذه المواصفات وبعد جهد عسير وجدوا أخيراً من تنطبق عليها الشروط باستثناء شيء واحد اشترطته وهو حضور الدروس الأسبوعية التي تلقيها إحدى الداعيات في منزلها.. وافقت بعد محاولات عديدة.. وتم الزفاف في أجواء أسطورية بذل فيها إخواني وزوجاتهم جهداً خارقاً لتكون ليلة العمر التي لا تنسى بالنسبة إليَّ كعرفان لما قمت به من تضحية لهم.

ورأيتها لأول مرة.. كانت جميلة ذات تقاسيم هادئة كان وجهها يشع منه نور غريب لم تحجبه المساحيق التجميلية التي تضعها أي عروس على وجهها. وكذئب مفترس هجمت عليها.. بدون سابق إنذار.

فما يدريني لعلها تخفي تحت تحفظها مشروع فتاة لعوب.. ومن أول لحظة حالت صورة أمي وخيانتها لأبي بيني وبينها لم أرى فيها سوى صورة الزوجة الخائنة والعشيقة التي تخونني حين أكون في عملي.. وابتدأت في تضييق الخناق عليها فحين أتصل وأجد الخط مشغولاً تنتابني الهواجس والظنون فمن تكلم لابد وأنها تواعد رجلاً ما.. فأعود مسرعاً إلى البيت لأجدها تحدث إما أمها أو إحدى صديقاتها ولا أصدق إلا حين أضع السماعة على أذني للتأكد من ذلك، وحين تدعو إحدى صديقاتها إلى المنزل فإني لا أبارحه إطلاقاً فما يدريني أنها صديقتها وليس صديقها ولا أرتاح إلا حين أتجسس عليها وعلى أحاديثها مع صديقاتها لأرى فيما يتكلمن وكم من مرة ضبطتني واقفاً خلف الباب أو واضعاً أذني على الجدار.. دون أن توجه لي أي ملاحظة ولكن نظرات العتاب في عينيها كانت تعذبني ولكني كنت أتجاهلها، أصبح الشك رفيقي الدائم وبدأت حياتي

تسلك مسلكاً غريباً في تعذيب النفس، وكأني كنت أعاقب نفسي- على سلوك والدتي المشين وسكوتي عليه، على زوجتي الطاهرة العفيفة، وحين كانت تطلب مني أن أوصلها إلى بيت زميلتها الداعية فإني أوافق بكل مشقة وأظل واقفاً عند باب البيت إلى أن تخرج زوجتي حتى لو استغرق مجلس الذكر ثلاث أو أربع ساعات، فما يدريني أنها لن تخدعني وتخرج مع شخص آخر؟!

لقد تحملت زوجتي ما تعجز الجبال على تحمله وبدأت زميلاتها في الإبتعاد عنها رويداً رويداً شفقةً منهن على حالها حين علمن بتصرفاتي الجنونية التي لا تصدر من شخص متزن عاقل وبدأت أضيق الخناق عليها أكثر وأكثر فلا زيارات للجيران والأقارب حتى أهلها يجب أن تذهب معي وترجع معي وحاجياتها من السوق أصبحت أنا الذي أحضرها لها، وتصوروا حتى ملابسها أنا الذي أشتريها لها وأختارها حتى لا تخرج، والهاتف أضعه في سيارتي حين أخرج إلى العمل ثم أعيده بعد رجوعي من العمل، ولم أكتف بذلك بل وضعت عليه جهاز تنصت، ومنعتها من الخروج تماماً حتى إلى مجلس الذكر كل ذلك وهي صابرة محتسبة، لم تشتك لأحد ما تعانيه ولم تحاول أن تعايرني بتصرفاتي المريضة هذه بل كانت

تحاول أن تزرع الثقة في نفسي نحوها ولكن بلا فائدة، ثلاث سنوات مرّت على زواجي إلى أن جاء ذلك اليوم الذي وضعني على مفترق الطرق فقد رجعت ذات مساء من عملي على غير العادة وبيدي جهاز الهاتف، وحين دخلت المنزل وجدت زوجتي بكامل زينتها وكأنَّها عروس سوف تزف إلى عريسها والفرحة تترافص على محياها الجميل.. ورائحة البخور والعطر تفوح من جوانب المنزل وسفرة الطعام معدة بشكل ساحر، وقبل أن تفتح زوجتي فمها أسرعت كالمجنون إلى غرف المنزل أفتحها غرفةً غرفةً أبحث عن رجل غريب يكون قد داس شرفي في غيابي، تماماً كما فعلت أمي بغياب أبي، رجعت كالثور الهائج إليها وقبل أن أفجر بركان حممي المتوهجة، وجدتها تمسك بيدي بحنان بالغ وهي تقول، لقد عوض الله صبرنا خيراً يا حبيبي.. أنا حامل.. وكالصاعقة حين تنزل على الأشجار اليابسة فتحرق ما تبقى منها.. نزل عليَّ الخبر.. لم أستطع النطق إلا بعد جهدٌ جهيد، وما يدريك عن ذلك كيف تأكدت؟! أجابت بدلال – إنه إحساس الأنثى والأم.. حين تحتوي أحشائها على ذلك الحلم المرتقب!.

وبدون تفكير قلت بسرعة هيًا هيًا ارتدي ملابسك واغسلي وجهك لنذهب للمستشفى لنتأكد من ذلك دون أن أقول كلمة مبروك لها!.

وهناك في المستشفى تم عمل تحليل للحمل وطلب منا الطبيب الإنتظار وبعد ذلك بقليل طلبت الممرضة منا الدخول إلى عيادة الطبيب الذي ابتسم قائلاً مبروك ألف مبروك زوجتك حامل.. شهقت زوجتي وهي تبتسم "الحمد لله الحمد لله" أما أنا فانتفضت كمن لدغته أفعى وأنا أقول وسط استغراب الطبيب هل يمكن يا دكتور عمل اختبار إثبات نسب لأتأكد إذا كان هذا الجنين من صلبي أم لا؟ وفجأة هبت زوجتي واقفة وهي تصرخ في وجهي وكأن كلماتها حمم بركانية عذبها طول الإنحباس في باطن الأرض الخامدة فبدأت تقذف بها خارجاً بكل قوة الإنفجار المكبوت سنيناً "لا يمكن أن تكون إنساناً طبيعياً إطلاقاً.. أنت مجنون لا تستحق سوى الشفقة والرحمة وأنت لا تعرفني جيداً فإن كنت تعتقد أني أشبه شخصاً ما في عقلك فأنت مخطيء لأنني أعرف نفسي جيداً وأعرف كيف أحافظ على شرفي ولست بحاجة إلى عمل اختبار لأجعلك تتأكد من إخلاصي لك من عدمه لأنني لن أعيش معك بعد اليوم وسأحرص على أن أرى هذا الطفل يكبر بعيداً عنك وعن

أفكارك المريضة وشكوكك القاتلة هيا طلقني الآن أرجوك" ويبدو أنها لم تتحمل الصدمة النفسية فانهارت وأغمي عليها وسقطت على الأرض أُدخلت بسرعة إلى غرفة العمليات بعد أن حدث لها نزيف شديد وتم الإجهاض وسقط الجنين البريء والذي أرجو أن يسامحني الله لأني كنت السبب في ذلك .. ثلاثة أيام كاملة وزوجتي فاقدةً للوعي نتيجة الصدمة النفسية وكمية الدم التي نزفتها إلى أن بدأت تستعيد عافيتها شيئاً فشيئاً وكان أول شيء تنطق به بعد أن فتحت عينيها كلمة "طلقني طلقني" ولأول مرة منذ ثلاث سنوات أشعر بتأنيب الضمير نحو زوجتي وأني السبب فيما حدث لها لابد أنني مريض وبحاجة إلى علاج نفسي ووضعت رجلي على أول العتبة وحجزت موعداً لي عند طبيب نفسي. وبدأت جلسات العلاج المكثفة وتم صرف بعض الأدوية النفسية لي وبعد أن شخص الطبيب حالتي بدأت أشعر ببعض الراحة النفسية شيئاً فشيئاً وبدأت تتلاشى الضغوط المتراكمة عليَّ مع شعوري بالألم لرفض زوجتي لرؤيتي خاصة أني شعرت بخطأي نحوها وأني ظلمتها كثيراً وهي الإنسانة الشريفة الطاهرة ولكن بناءً على نصيحة والدها ابتعدت عنها بعض الشيء فالأيام كفيلة بمحو الآثار السيئة وفعلاً بعد ستة أشهر من العلاج النفسي والمواظبة على الجلسات النفسية ارتاحت

نفسي كثيراً وابتعدت عن الشك الزائد والتفكير بالأشياء الدقيقة، وتحولت إلى إنسان آخر تماماً وعادت إليَّ زوجتي الصابرة الشريفة والتي أرفع رأسي افتخاراً بها في أي مكان أو زمان وها أنا الآن لديَّ أربعة من الأبناء أكبرهم في العاشرة من عمره بعد أن منَّ الله عليَّ بالشفاء وتخلصت من مرضي النفسي بفضل الله سبحانه وتعالى.

لذا فإني أهدي حكايتي هذه إلى كل من عاني من المرض النفسي وعاش تفاصيله القاتلة وتحولت حياته بسببه إلى سلسلة متصلة من الكوابيس والشكوك والتناقضات المزعجة والأفكار السوداوية البغيضة..

• وأقول له المرض النفسي معركتك في هذه الحياة فاحرص على هزيمته بتعميق الإيمان بالله والرغبة الصادقة في طرده من أفكارك ومهما كانت شدته فلا تستسلم له فمن حقك أن تعيش حياتك بسلام وهدوء وسعادة.

• وخــزة

الذكريات المريرة مثل الحرقان ستشعر بحموضتها البغيضة تلسع جدران قلبك كلما تذكرتها فحاول نسيانها أو على الأقل تناسيها..

أخبرهم أنك تحبهم !

●أحياناً نعيش مشاعرنا بروتين بالغ حتى تلك اللحظات التي تومض بشفافية نحاول اغتيالها لأن تدفقها سيجعل منا أضحوكة في نظر الآخرين أو هكذا يخيل إلينا!

● متى آخر مرة أخبرنا أقرب الناس إلينا من أب وأم وزوج وزوجة وأخ وأخت وابن وابنة وخالة وخال وعمة وعم وجدة وجد وصديق وصديقة وجار وجارة.. إلخ أننا نحبهم ولا نتخيل الحياة بدون أنفاسهم، ولماذا يرحل البعض دون أن يستشعر عمق المشاعر التي نحملها له؟

● لا تبخلوا بعواطفكم الصادقة نحو أحبتكم أخبروهم أنكم تحبوهم احتضنوهم فساعات الصفاء في الدنيا قليلة.. وأروعها حين تقول لأحدهم أن الدنيا أجمل بوجوده "ولا خلا ولا عدم"!

● حين يستسلم الإنسان للألم فهو كمن يسدل ستارة سوداء ثقيلة على روحه تمنع عنها كل ضياء.. ولكنه حين يقاومه

فإن شقوقاً ستمزق تلك الستارة السوداء لينفذ منها ضياء الأمل!

- قاوم أمواج الألم ولا تدع أحداً يفقدك احترامك لذاتك ولا ثقتك بنفسك واعتز بانجازاتك وحقق حلمك من أجلك أنت لا من أجل أن تكون الأفضل في أعين الآخرين!
- كم هو رائع وجميل أن أُناساً مثل أديسون والأخوين رايت ورواد الفضاء وغيرهم لم يتقبلوا عبارة "لا أستطيع" وإلا ما كُنَّ نتمتع بكل هذه الاختراعات العظيمة القيِّمة، وأتمنى منك أنت أيضاً أن تستبدل عبارة "لا أستطيع" بكلمة "أستطيع" فالفارق الوحيد بينهما هو حرف "لا" ولكنه مُدمِّر حين يسبق هذه الكلمة!
- التجارب المؤلمة مثل الرَّحى ستسحق روحك سحقاً لكنها ستخلصك من الشوائب والقشور بشرط أن تتحمل وجع الطَّحن بشجاعة!

المرآة ستخبرك

تجارب الحياة تغدو رائعة حين نقتسم خبراتها مع الآخرين رغم أن البعض قد يجد حرجاً في ذكرها، والبعض الآخر يظن أنها خاصة بصاحبها فقط وقلة من يدركون أن معرفة الآخرين عنها قد تشكل فارقاً في حياتهم لذلك دعوني أحكي لكم هذه التجربة التي لم أنساها وأصبحت مثل بطاقة المناسبات السعيدة.. أبتهج باستعادة ذكرياتها حين تتأزم الأمور من حولي!

حين كنت أدرس في الكلية كنت أعيش مع زوجي في ظروف مادية صعبة جداً إلى تلك الدرجة التي لم أكن أتمكن فيها من شراء ملابس جديدة للكلية أتصدقون ذلك؟!

كانت الكلية تُلزمنا بارتداء تنورة سوداء وقميص أبيض ولأن الظروف المادية وقتها لزوجي كانت بالغة السوء فقد اشتريت تنورة رخيصة جداً بحيث أنها لم تصمد أمام كثرة الإستخدام اليومي لها.. وهذا ما حدث فمع تكرار عملية غسيلها كانت ترتفع قليلاً وتبدأ خيوطها الواهية في التسلل خارج حدودها.. كنت طالبة مثالية لكن

ذلك لم يشفع لي أو يحول بيني وبين ما حدث؟ أترغبون حقاً بمعرفة ماذا حدث.. حسناً سأخبركم!

رأتني إحدى "الأستاذات" ورأت كيف أن تنورتي قصيرة بمقدار بوصة واحدة بفعل عوامل التعرية التي كانت تجهلها والتي حدثتكم عنها وللحق فقد كان هناك تنورات أقصر بكثير لم تنتبه إليها أستاذتنا.. ربما لأن الإنسان المثالي يكون دائماً تحت المجهر.. أقول ربما!

المهم طلبت مني أن أغير تنورتي التي وصفتها بـ "قلة الأدب" ابتلعت حينها ريقي بصعوبة فتخيلوا طالبة مثالية ويتم توجيه هذه الملاحظة الكارثية لها.. وأمام زميلاتها.. وأيضاً دون معرفة خلفية التنورة الكئيبة، يومها بكيت في حمام الكلية أعزكم الله.. كنت أحاول أن أداري دموعي وضعفي وانكساري.. لم أكن أريد لأحد أن يعرف ظروفي المادية الصعبة فمنذ كنت صغيرة كنت أمقت نظرات الشفقة!

مرت الأيام وظروفنا المادية لم تتحسن بل ازدادت سوءاً فواتير تراكمت وأقساط لم تسدد وديون لم يعد أصحابها يطيقون الانتظار..!

والشيء الجديد أنني أصبحت تحت مجهر هذه الأستاذة، فيوماً كانت تكرر هذه الملاحظة عليَّ حتى أصبحت أسعد أيما سعادة حين تنشغل بأمر ما.. أو تتغيب لأي سبب كان، لكن علمتني الحياة أن الأمور التي نخشاها هي دوماً ما تظهر لنا ونكون وجهاً لوجه أمامها.. سأصور لكم المشهد حتى تدركوا قسوة التجربة التي مررت بها.. كان اليوم يوماً مفتوحاً يعني الجميع خارج أسوار القاعات وفي الأيام المفتوحة في الجامعات كان الجميع بلا استثناء يتجمع في مكان معين لإحياء فعالية معينة ويومها كانت الساحة مثل خلية نحل الطالبات والأستاذات والموظفات والعاملات لكأنما يومها كان الجميع يجلس في مقاعد مسرح كبير ويتفرجون على عرض بائس أقدم أنا كل فصوله المتلاحقة، فحين مررت أمام تلك الأستاذة حاولت التواري عن ناظريها بلا جدوى ليأتيني صوتها مرعباً مزلزلاً كل خلية من خلايا مثاليتي الهادئة وخوفي المرتقب.. "سلوى". ألم أخبرك بأن تغيري تنورتك هل المسألة تحدي أم إيش..؟ هذا آخر إنذار وبعدها تحقيق أفهمت..؟! سكون عم الساحة فجأة.. شعرت بأني أتلاشى ببطء مروع.. لم أعد أشعر أو أرى أي شيء من حولي.. كان هناك ضبابية مخيفة تعم المكان.. اختفت الوجوه من أمامي.. خيَّم الصمت.. أخذت أبحث عن

نفسي.. أين أنا..؟! ماذا حدث؟.. دقائق مرت وتبدَّد غبش الرؤية.. همسات رثاء تصاعدت من حولي، ضحكات سخرية.. ونظرات حادة نحو تنورتي البائسة، لكن المثير للسخرية أنن لم أسمع تصفيقاً ولو من باب التشجيع والمساندة! صوت في داخلي أخذ يصرخ بي بقوة.. اهربي اهربي.. تواريت عن الأنظار كالعادة.. ذهبت إلى حمام الكلية وبكيت وبكيت وبكيت أحسست بالضعف الشديد وبالإهانة وبازدراء نفسي بالغ.. وقفت أمام صنبور الماء لأغسل وجهي حين شعرت بوقوف صديقة لي بجانبي وبيدها منديل أعطتني إياه وهي تقول:- سلوى أتذكرين حلمك الكبير الذي حدَّثتني عنه بأنك ستكونين كاتبة مشهورة ربما أنتِ الآن متألمة ولكن تخيلي نفسك تلك الكاتبة وتجاوزي كل التعليقات التي سمعتيها الآن والتصرف اللاعقلاني لتلك الأستاذة..!! وخرجت صديقتي.. ثم نظرت إلى المرآة.. ولأول مرة.. رأيت نفسي- وجهاً لوجه مع ذاتي المنكسرة المحطمة الخائفة التي كانت تجيد الهروب دوماً، لحظتها شعرت ولأول مرة أني لا أرغب أن أكون تلك الإنسانة واقتربت من المرآة ركزت على عينيَّ ثم أغمضتهما وأنا أهمس لنفسي "سلوى من أنتي؟".

وجاءني الرد "أنا كاتبة مشهورة وراح تقرأ هذه الأستاذة اسمي وتتذكرني وتتذكر موقفها معي..".

أتدرون ماذا حدث بعد ذلك؟!

لم تعد تهمني ملاحظات تلك الأستاذة ولم أعد أعبئ بها بل أني تجرأت يوماً أن أقول لها.. "حين أكون الطالبة الوحيدة في الكلية والتي ترين أنَّ تنورتها قصيرة بمقدار بوصة واحدة حاسبيني" ومن يومها لم تعد توجه لي أي ملاحظات..!

علمتني هذه التجربة أن تلك الصورة الذهنية التي تسكن في عقلنا الباطن ما هي إلا من صنعنا نحن وليس مهماً من تكون الآن أو ما هي ظروفك؟! بل ماذا فعلت لتغير من تلك الصورة التي ستشكل مستقبلك كله فيما بعد!

فمهما كانت ظروفك بالغة السوء، فذلك ليس عذراً لك أبداً لتظل جامداً حيث أنت، والإختباء ليس حلاً أبداً فلابد وأن تواجه ما هربت منه يوماً..!

● لذا ابدأ من الآن بالتفكير الجدي في رسم صورة ذهنية رائعة للإنسان الذي ستكونه أو تريد فعلاً أن ترى نفسك عليه بالفعل!

افهم الحياة جيِّداً !

- حين تسمح للآخرين باستئجار عقلك فلا تتذمر منهم إن لم يدفعوا لك الإيجار يوماً ما!

- حين يشكو الذئب ويتباكى من ظلم الفراشة فاعلم أنه قد أبصر الأسد مقبلاً!

- لا تهدي فقيراً جائعاً باقة ورد فقد يدوسها بقدميه ناقما من شاعريتك!

- كن متسامحاً واعبر فوق أحداث الماضي مهما كان وقع ألمها في نفسك، لأنك لن تستمتع بنجاحك إن كنت مازلت تستجلب الذكريات المريرة وتعيش معها.

- ركِّز واكتب أهدافك ولا تجعلها أكبر من طاقتك فتشعر بالعجز ولا أقل من قدراتك فتقتل طموحك ثم راجعها كثيراً وبعدها انطلق بصبر وثقة وحسن ظن بالله نحو تحقيقها وإياك أن تتراجع.!

كفى هذه حياتي

كنت البنت السادسة والأخيرة في ترتيبي بين شقيقاتي لذا قدمت إلى هذه الدنيا وأنا غير مُرحب بي إطلاقاً من قبل أمي وأبي وجدتي لأبي التي كانت ترى فيَّ عبئاً إضافياً سيقصم ظهر وحيدها، خاصة أن الأشعة الصوتية إلى آخر شهور الحمل كانت تنبؤهم بأن والدتي تحمل في أحشائها الذكر الذي طالما حلموا به، ولكن من سوء حظِّي قدمت أنا، فقد كانت تسبقني آمالهم العريضة بأنهم سيرون الولد أخيراً لكنهم أصيبوا فجأة بالخيبة الشديدة بمجرد أن تأكدوا أني أنثى، وليت الأمر توقف عند هذا الحد لهان عليهم وعليَّ الأمر.. لكنِّي كنت أقل شقيقاتي جمالاً بل لعلي لا أبالغ إن قلت أني كنت أكثر بنات الأسرة دمامة وقبحاً، لم أولد مع كل هذه التراكمات السلبية فقط لكنني كنت بمثابة النهاية المفجعة لكل أمل قد يولد فيها بعد لأبي وأمي وجدتي، فقد حدث لأمي نزيف شديد بعد ولادتي بأيام استدعى استئصال رحمها حفاظاً على حياتها!

أحداث درامية متلاحقة استقبلتني في لحظة قدومي إلى هذا العالم وظلت تلازمني رغماً عني وكأني كنت أُكفِّر بها عن أمور لم يكن لي أي يد فيها وإنما هي أقدار الله كتبها علينا فسخط من كُتبت عليهم هذه الأقدار ودفعت أنا ثمن سخطهم؛ وصبوا جام غضبهم وإحباطهم وتبرمهم فوق بساتين حياتي التي أوشكت أن تحترق سنابلها من طول القحط الذي أصابها!

حين بلغت الخامسة من عمري بدأت أشعر بالمعاملة السيئة من قبل أمي وأبي وجدتي لأبي، حيث الزجر المخيف والضرب عند أقل شقاوة كنت أفعلها، بدأت سنوات عمري تتوالى ومع كل سنة كنت أنكمش على ذاتي أكثر وأكثر وأكثر لكأنما أنا أبني كل يوم سداً منيعاً بيني وبين الحياة التي صدمتني وانصدمت بها، في عمر الثانية عشر تقدم خاطب لأختي الكبرى وكانت في قمة الجمال والرشاقة وبطبيعة الحال كان هناك ترتيبات في تنظيم المنزل وتنظيفه، وكنت دائماً بمثابة الخادمة التي تُلقى عليها كل الأعمال المنزلية رغم أني كنت الصغرى، بعد الإنتهاء من عمل مضني شاق ذهبت لدولاب ملابسي سعيدة كأي طفلة تريد أن تشارك أسرتها السعادة والبهجة أردت أن أرتدي ثوباً جميلاً لأحتفل معهم بهذه المناسبة، لكني

فوجئت بأمي تدخل ورائي طالبة مني عدم الخروج على الضيوف، سألتها باستغراب ولماذا بقية شقيقاتي يخرجن وأنا لا؟ ولم تكن أمي بحاجة للجواب فقد كانت جدتي تمر بالجوار حين سمعت سؤالي فردت بكل قسوة: أتريدين أهل خطيب أختك يشاهدونك فيتراجعون عن خطبة شقيقتك "يا حمارة القايلة"؟ وضحكت أمي وهي تنسحب بلامبالاة من غرفتي وتبعتها ضحكات جدتي، نظرت إلى نفسي بالمرآة فشاهدت أنفاً طويلاً؛ كأنما هو أنف تلك الساحرة الشريرة التي طالما قرأت عنها في قصص الأطفال، نظرت إلي حاجبيَّ العريضين اللذين يلتصقان ببعضهما وكأنهما غابة من الحشائش الكثيفة، حاولت أن أبتسم لعل ابتسامتي تبدد شيئاً من هذه الدمامة لكني لم أرى سوى أسناناً صفراء متراكمة فوق بعضها البعض لكأنما هي مدرجات ملعب كرة قدم أصابه زلزال مفاجئ فتهدمت في كل اتجاه، أقفلت شفتيَّ بسرعة ومن يومها غابت كل ابتسامة في حياتي..، كانوا ينادونني "حمارة القايلة".. "الشيفة" "الدبة"، مضت بي سنوات مراهقتي كأبشع سنوات تمر على مراهقة عشتها بكل تفاصيلها المؤلمة والمحزنة كانت تعليقات جدتي وأبي وأمي تحفر خربشات حول تلافيف عقلي وتحولت بمرور الأيام إلى

أخاديد عميقة أثرت في نفسيتي فخلقت مني فتاة انطوائية خجولة مترددة سلبية إلى تلك الدرجة التي صرخت فيها أختي بوجهي يوماً:-ألم أقل لك أحضري الشاي لزميلاتي في الغرفة دون أن تتكلمي أنا أخبرتهم أنك خادمتنا ماذا تريدونهم أن يقولوا عني كذابة؟!

جاءت أمي مسرعة على صوت أختي وحين علمت بما حدث، لم تنهر أختي لأنها قالت عني "خادمة"، لا والله بل خلعت حذاءها وضربتني به على وجهي وصدري وظهري وأنا لم أقاومها لأن شيء في داخلي كان يموت حينها، يسحب روحي إلى حيث دهاليز الظلام وثقوب الإنزواء، حين كانت أمي تضربني على كل شبر في جسدي بلا رحمة لم أكن أشعر بحرارة حذائها وهو يلهب جلدي كنت فقط أرى يدها ترتفع وتنزل سريعاً وعينيها تقدحان شرراً محرقاً من بغض وكره، لم أعد أشعر بشيء سوى أن كل شيء في داخلي كان يموت في هذه الأثناء كانت أمي تردد "يا ليتك مت يوم جبتك الله يأخذ عمرك وأرتاح منك" لا أدري حقاً كم من الوقت ظلت تضربني فقد أغمي عليَّ ولم أشعر بنفسي إلا بمنتصف الليل حين حاولت النهوض وكان الظلام يحيط بي فشعرت أن جسدي

مثل سيارة سقطت من جبل مرتفع فلم تعد صالحة للقيادة لكني تحاملت على نفسي بتثاقل وفتحت ضوء غرفتي وهالني ما رأيت من الكدمات السوداء والزرقاء والحمراء في كل مكان بجسدي شعرت بالألم مثل مسامير حادة تنغرز بلا رحمة ، ذهبت إلى المطبخ بصعوبة بالغة وأحضرت إناء وضعت فيه قطع ثلج وبدأت في وضعها على تلك الكدمات الموجعة ودموعي تتساقط كشلال منهمر حتى خشيت أن تذوب قطع الثلج من حرارة الوجع الذي كنت أشعر به، أي قسوة غرست أشجارها في قلب أمي نحوي؟ ولماذا تكرهني إلى هذا الحد؟ هل لأني أتيت فتاة وهي تنتظر ولداً؟ أم لأني دميمة بعكس شقيقاتي الجميلات؟ أم لأنها تعتبرني نحس بسبب ما حصل لها من مخاطر صحية بعد ولادتي مباشرة؟ حتى الإجابات لم أرغب بسماعها فقد كان الألم في داخلي أكبر من أي سؤال، ومنذ تلك الليلة مات كل إحساس بداخلي بأحقيتي في الحياة فانطويت على نفسي تماماً لم أعد أعارض أي أحد منهم، أو حتى أناقشهم بأي حق مشروع لي في الحياة، كانت شقيقاتي يعاملنني كخادمة بلا استقدام، أما جدتي فلم تتوقف يوماً عن مناداتي بالشيفة حمارة القايلة الدبة، وأمي كانت مثل عود الكبريت الذي ينتظر أقل احتكاك ليشتعل بلا

رحمة لكني لم أعد أمنحها هذا الشرف لأني كنت مجرد خادمة في نظر ذاتي لا شيء آخر، أما أبي فكان دوره سلبي تماماً وهو يرى فصول هذه المأساة تدور رحاها أمامه ولا يحرك ساكناً لكأنما أنا بالنسبة له مجرد اسم تابع له في بطاقة العائلة هكذا سارت بي الحياة مثل سجينة بريئة لم تكن تملك حق الإعتراض على تهم لم ترتكبها، رضيت ببرودة السجن وقضبانه الموجعة فقد كانت أرحم بي من قلوب أهل لم أجد منهم إلا البغض والقسوة والمعاملة اللاإنسانية، لكن وجدت ذاتي في دراستي فتفوقت فيها رغم كل العوائق النفسية التي كنت أرزح تحت وطأتها إلى تلك الدرجة التي كانت أمي تتمنى لو أن إحدى شقيقاتي هي المتفوقة بدلاً مني، هل هناك وجعاً أشد من أن ترى أمك أنك لا تستحق ما أنت عليه من نجاح وتميز! كانت شهادات تفوقي هي عزائي الوحيد في هذه الحياة.. لكأنما هي تُربِتُ على كتفي وتمنحني شيئاً من أمل يجعلني أشعر بأني إنسانة تتنفس، حين بلغت الثامنة عشر حصلت في الثانوية العامة على تقدير ٩٨٪ إنصدمت أمي وجدتي بهذا لكأنما هما يستكثران عليّ حتى النجاح ولم تقل لي أمي (مبروك) يومها، وكم تمنيت لو أنها ولمرة واحدة فقط في حياتها أخذتني في أحضانها ، كم تمنيت أن تضمني بحنان وهي تعيذني من

عين كل حاسد، كم تمنيت أن تقول لي أنا فخورة بك يا ابنتي، لكنها لم تفعل وليتها فعلت.!

بعد شهر من انتهاء المدرسة بدأ التسجيل بالجامعة وكان لا بد أن أخبر أبي برغبتي بالتسجيل بكلية الطب كان أبي يجلس ذلك اليوم مع جدتي وأمي في "المجلس" فذهبت إليه وأنا أتقدم خطوة وأتراجع خطوات وحين وقفت أمامهم مباشرة قلت وحروفي نصفها تتبعثر فوق شفتي من الخوف والغصة التي خنقت أنفاسي: أبي أريد أن أسجل بكلية الطب، ولم أنتظر كثيراً لأسمع جواباً من أبي فقد كانت ضحكات أمي وجدتي أسرع من جوابه، ولأول مرة أتجاهل الألم فسألت أبي مرة ثانية : أبي سأسجل بكلية الطب فمتى تذهب بي إلى هناك؟ لكنهما هذه المرة لم يضحكا فقد فتحا عليّ كل أنواع الشتائم البذيئة والأحكام القاتلة التي يمكن أن تتخيلوها، "إنتي تبغين تفشلينا المدرسة وتحملناها هذه المرة تبغين تروحين الجامعة عشان الناس يشوفونك ويتوقف نصيب أختك الأخيرة في الزواج"؟ هكذا قالت أمي أما جدتي فكانت أكثر رحمة قليلاً حيث قالت : "بلا جامعة بلا خرابيط روحي بس سوي لنا الغداء"،

انتظرت أبي أن يرد أن يتكلم كنت مثل بريء يُساق لمنصة الإعدام وينتظر معجزة تحدث لتظهر براءته في آخر لحظة، لكن أبي ظل صامتاً كعادته، في تلك اللحظة كنت أراقب أحلامي وهي تنهار كقمة جبل تصدعت فجأة وبدأت صخورها في التدحرج نحو وادي سحيق وأنا أقف في طريقها فكان أمامي خياران إما أن أبتعد عن طريق الصخور وأكون في أمان أو أن أستسلم وأتركها تجرفني معها بعد أن تسحقني تحتها سحقا ووجدتني لأول مرة أقول بصوت واثق: سأصنع الغداء يا جدتي اليوم لكني سأسجل في الجامعة بإذن الله غداً وتركتهم وسط ذهول شل تفكيرهم تماما ولا أخفيكم أمراً أنني أنا أيضاً تساءلت من أين لي تلك القوة الهائلة فجأة؟

هل لأني رأيت أحلامي توشك أن تنهار بلا سبب؟

هل لأن تيارات الظلم والغبن والصمت لم تعد تحتمل الصمود أكثر من ذلك؟

هل لأني أحسست بأحقيتي أن أعيش وأتنفس وأستمتع بحياتي؟ كانت جيوش الأسئلة تتزاحم في رأسي ولم أُشغل نفسي بمحاولة البحث عن أجوبة فقد كنت أشهد حينها لحظة ولادة

إنسانة جديدة، في ذلك اليوم سمعت من العبارات المحبطة القاسية من أمي وجدتي ما الله به عليم لكني لم أتراجع ولم أهتم بما تقولانه وذهبت في الغد للجامعة وسجلت بكلية الطب وبعدها بفترة ظهر قرار القبول بالجامعة كان تلقيهم للخبر أشبه بتلقيهم بنبأ وفاة أحدهم لكني لم أكترث حزمت حاجياتي وجميع ما أحتاجه لأني كنت سأسكن في السكن الداخلي للجامعة لم تودعني أمي إلا بكلمة موجعة الله "يعين بنات الجامعة اللي راح يتصبحون بوجهك" أما جدتي فقد كانت في زيارة لإحدى بناتها وهذا كان من حسن حظي يومها، دخلت عالماً جديداً شعرت فيه بكياني وثقتي بذاتي وكونت صداقات حب في الله مع زميلات ساندنني وأحطنني بالحب والحنان الذي افتقدته، انتهيت من دراسة الطب وتخصصت بجراحة القلب من فضل الله وتم ابتعاثي إلى أمريكا وأكملت دراساتي العليا هناك وأعمل الآن في أحد مستشفياتها وأحظى بحب الجميع وتقديرهم واحترامهم. وتزوجت من رجل رائع يخاف الله ومعي طفلة مثل القمر في بهائه!

أمي تفتخر بي الآن وأبي رحل قبل أن يرى ثمار كفاحي أما جدتي فهي مصابة بالزهايمر ولا تعرف شيئاً مما يدور حولها!

* حين تكون حياتكم أمام مفترق طرق فقولوا (كفى هذه حياتي)، ولا تستسلموا لظروفكم مهما كانت بالغة السوء لأنكم وقتها ستكونوا مجرد أموات يعيشون في عالم أحياء، فقولوها لكل من يهيل عليكم التراب رغم أنفاسكم التي تتردد بين أضلعكم، نعم قولوا: "كفى هذه حياتي".

قُــل يا رب

• حين تستعصي عليـك الـدموع وتتنازعـك الهمـوم ويضـيق صدرك بالألم، فارفع رأسك وقل يا رب ولا تنظر نحو أبواب البشر المقفلة ولا تبتئس من صدأ مفاتيحهم ولا يحزنـك صـمتهم الموجـع، فالسماء واسعة وزرقاء وجميلة وأبوابها تنتظر طرقك وغمامهـا يبـتهج لرفع كلماتك وربك وعدك بتحقيق ما طلبت فلِمَ الحزن إذن؟

قل يا رب، وابتسم فعما قريب ستنهال عليك عطايا الرحمن!

• سُئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد يوم الخندق وكـان قد نازل عمرو بن ود أكبر محاربي قريش بسالة وجراءة، بم انتصرت على عمرو يوم الخندق؟!

فقال: كانـت نفسي قـد حـدثتني أني سـأغلبه وأنـه سـيتقهقر أمامي، فلم أُبالي به في شيء.

ازرع السعادة في قلبها

أثناء لهثنا في الحياة نتمركز كثيراً حول ذاتنا فتتضخم أمامنا أحلامنا ومشاكلنا وهمومنا وأحداثنا اليومية حتى نكاد نصل إلى قناعة بأننا غير قادرين على مساعدة من حولنا أو حتى مشاركتهم الإحساس بظروفهم!

قبل عشر سنوات دخلت على أمي ذات صباح فسارَعَتْ بمسح دموعها حتى لا أراها ثم نهضت مستبشرة بزيارتي لها مع أطفالي وكأنها تحاول إخفاء شيء من ألم لا تريدني أن أراه، حين جلسنا لتناول القهوة، سألتها مباشرة أمي، ما بك؟ أرادت أن تتهرب من الإجابة لكن بقايا دمع في أهدابها لم يستطع أن يخفي عني حقيقة الألم الذي تشعر به ((لا شي... لا تشغلي خاطرك بي.. لكني أقسمت عليها أن تخبرني.. ومن وسط زفراتها الموجعة أخبرتني أن المقاول الذي بنى البيت لها يطالبها بباقي المبلغ وكان في حدود ثلاثين ألف ريال وهي لا تملكه الآن)) قلت لها ولماذا لم تخبريني؟!

أجابت، أنا أعلم ظروفكما جيداً فأنتما أنهيتما بناء منزلكما الكبير للتو وما زلتما تسددان أقساطه، فلم أرد أن أثقل عليك!

يا الله أرأيتم عظم قلب الأم الذي يحمل كل هذا الحب والشفقة على الأبناء وينكفئ على همومه حتى لا يزرع الألم في قلوبنا.

خرجت من عندها وأخبرت زوجي برغبتي الجادة بتجفيف جداول الوجع في قلبها الطاهر فساندني جزاه الرحمن عني خير الجزاء، واشتريت سيارة ديناً على راتبي بمبلغ ثلاثين ألف ريال وكتبت فيها أقساط لمدة ٤ سنوات، ثم ذهب زوجي إلى المقاول الذي أبدى تعاطفه الشديد من هذا الموقف فأخذ خمس وعشرين ألفاً وأعاد الباقي وأعطانا ورقة مخالصة، تنص على أن دَيْنَ أمي قد تم سداده بالكامل!

بعد صلاة العشاء دخلت على أمي وكانت على سجادتها قد فرغت للتو من صلاتها، فالتفتت لي بفزع "عسى ما فيكم شيء؟

قلت لها:-لا تخافي ما بنا إلا كل خير، لكن أعطيني يدك الطاهرة فمدت يدها مستغربة، فوضعت بيدها الخمسة آلاف ريال المتبقية من ثمن السيارة، ففرحت جداً قائلة:-الله يجزاك خير يا بنتي يعني الحين بقي خمس وعشرين ألف ريال على باقي المبلغ الذي يطالبني به المقاول فأخرجت ورقة المخالصة قائلة:-هذه ورقة مخالصة من المقاول يا أمي فقد سددت دينك ولم يعد أحد يطالبك بشيء والخمسة آلاف ريال هدية مني لأجل دموعك الغالية التي رأيتها هذا الصباح، يا الله ليتكم رأيتم معي قسمات وجهها المضيء حين تهللت ولسانها حين لهج بالشكر وقلبها حين قفز من السرور!

لقد شرقت بدموعها حتى أني لمت نفسي وتمنيت لو أني أخبرتها بالموضوع تدريجياً، قبلت كفيها الطاهرتين وأنا أسألها بالله أن لا تبكي فردت عليّ من بين أدمعها، "إنها دموع الشكر يا ابنتي، لقد كلفت على نفسك من أجلي" قلت لها: ادعي لي فقط يا أمي..؟! ثم رفعت يديها إلى السماء قائلة:

"قولي آمين يا بنتي، عسى أمة محمد كلها تدعي لك" يومها استغربت من دعائها.. لكن بعد مرور السنين أيقنت أن الله استجاب دعاءها، فحين يصلني إيميل أو رسالة أو مكالمة فيها دعاء لي بسبب أحد كتبي فإنني أقول فعلاً سبحان الله! لذلك صدقوني إن أي عمل أو إنجاز أو نجاح في الحياة لا يشاركنا فيه قلب الأم فهو عمل لا قيمة له، لا تُفرحك مشاركة الآخرين لك في احتفالاتك وأنت تُقصي أمك بعيداً لأي سبب كان، ولا تحتفل بشهادات الشكر وقلب أمك لم يلهج لك بالدعاء.

ابدأ من الآن بتصحيح مسار أفكارك إن كنت تعتقد فيما مضى أن النجاح قد يُعد نجاحاً وهو لم يحظى بمباركة أمك أو دعائها..!

لا تتحسر

● هل تظن أن شرخا في مرآة ما سيختفي حين تحاول إصلاحها، سأقول لك مستحيل ولأجل ذلك قال حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم (لا يُلدغ المؤمن من جُحرٍ مرتين).

● ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ الفرقان: ٥٨ آية عظيمة تجعلك تفكر ألف مرة قبل أن تقف على أبواب أناس نهايتهم الفناء والإنكسار والتراب!

● هل شعرت يوما بالحسرة على وظيفة أو صفقة لم تكن من نصيبك اطمئن واهدأ ولا يأكلك الندم فلو استعنت بجنود الإنس والجن فلن يأتيك رزق ليس من نصيبك!

● حين تطرق الفرصة بابك فلا تتأخر في فتحه لها حتى لا تنصرف عنك بحثاً عمن يجيد ضيافتها!

● يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إذا تمنى أحدكم فليستكثر فإنما يسأل ربه عز وجل".

حكاية رجل عسكري

تخرجت من الثانوية العامة في عام ١٤٢١ للهجرة وقُبلت في جامعة الملك خالد بأبها لإكمال دراستي، أوشكت على إكمال فصل دراسي كامل وقبيل الإختبارات النهائية ظهر لي بأن والدي لا يستطيع دفع مصاريف السكن وما إلى ذلك وان كان تظاهر بالقدرة على ذلك. ففضلت الإلتحاق بالقطاع العسكري لأساعد والدي قبل أن أُساعد نفسي وتركت الدراسة، التحقت بإحدى القطاعات العسكرية في المملكة واستفدت الكثير وتعلمت الكثير واكتسبت مزيداً من الجلادة لا أُخفي ذلك، أكملت أربع سنوات في هذا القطاع دون حراك أو تغيير ومن ثم قررت التسجيل في جامعة الملك عبدالعزيز بجدة بنظام الإنتساب لإكمال المرحلة الجامعية مستعينا عليها بالله تعالى وأنا أسمع أقوال المثبطين الذين قالوا كيف سيكمل دراسته وهو يعمل بالقطاع العسكري هذا مستحيل إنه يحلم!. لم ألتفت لذلك وإنما أكملت ما بدأت به. كانت الرسوم الدراسية تثقل كاهلي مقارنة بما أتقاضاه من العمل، يشهد الله أني كنت أقترض رسوم الجامعة في بعض الأحيان أو بعض المصاريف الأخرى لإكمالها. كنت أسافر من المنطقة الشرقية براً إلى جده لأتمكن من أداء الإختبارات النهائية، إجازتي السنوية لا أقضيها مع والديَّ وإخواني

وإنما أجزأها جزئين، ١٥ يوم قبل كل اختبارات فصل دراسي، حيث أقضي كل جزء والذي هو عبارة عن الخمسة عشر يوماً في أداء اختباراتي الجامعية والتي تمتد لأسبوعين، لذلك لم أكن أحظى بأي إجازة مريحة لنفسي ولم أكن أهتم بذلك فقد كان الهدف أمامي واضحاً ويستحق كل تضحية لأراه واقعاً ملموساً، كنت أحرم نفسي من أمور كثيرة من أجل إكمال ما بدأت فيه لتحقيق أحلامي وطموحاتي لأثبت للجميع أن الإنسان الناجح حين يكون واثقاً بنفسه فلن يوقفه أي شيء إطلاقاً واستعنت بالله وحده ثم على جهودي الذاتية، لم أتمكن من الزواج خلال تلك المرحلة ففضلت تأجيله لأستطيع التركيز على المجال العلمي أولاً، عانيتُ من أمور كثيرة وتغلبت عليها بحول الله تعالى ولم أخبر أحداً بما يجري ولكن كنت أردد " وكم يسر يأتي بعد عسر يفرج كربة القلب الشجي". شارفت على بلوغ القمة بفضل الله وحصلت على شهادة البكالوريوس بعد رحلة كفاح عنيدة ومن ثم فكرت مليا أنه لامانع من تجربة إكمال مرحلة الماجستير خارج المملكة، تخرجت من الجامعة ولم أتوانى في التقديم فأنهيت جميع الإجراءات بقدرة الله عز وجل في فترة وجيزة وأنا لازلت لم أخبر أحداً بما أنوي فعله، طلبت إجازة من عملي لأذهب إلى أمريكا في بداية ٢٠١٠ ميلادية بعد أن أخبرت

والديَّ بذلك ولم يصدق غالبية الناس ما يحدث، فهم لم يكونوا على علم بأني قد حصلت على شهادة البكالوريوس لذلك تفاجؤوا كثيراً وبعضهم إنصدم من قوة الإرادة التي تحليت بها من فضل الله تعالى رأيت في أعينهم الاحترام الكبير والإعجاب المميز وقد ساندوني فيما بعد، وتم انضمامي لبرنامج خادم الحرمين الشريفين جزاه الله عنا خير الجزاء، تقدمت باستقالتي من عملي ولله الحمد بعد خوض شرف العمل في مجالات مختلفة وفي أماكن مختلفة، واليوم وبفضل من الله تعالى ومنَّته بدأت مرحلة الماجستير في إحدى الجامعات الأمريكية ولن أعود إلا ومعي شهادة الدكتوراه إن أراد الله تعالى، وسأحصل عليها بحول الله فالهدف واضح أمامي. ثم إن الرجل الذي كان موظفاً عسكرياً ويكمل دراسته بجهده واجتهاده ويحرم نفسه حتى من إجازاته السنوية من أجل إكمال هدفه، أليس قادر بحول الله على المثابرة حتى يحقق تلك الصورة الذهنية المطبوعة في عقله حين يناديه أحدهم (الدكتور فلان) سأعود يوماً بحول الله وقد حققت حلمي الكبير أنا واثق من ذلك!.

ونصيحتي إليكم.. اتبعوا أحلامكم واستعينوا بالله وحده واطلبوه العون فجمال الحياة أن تشعر بأنك قد حققت فيها شيئاً إيجابياً ورأيت حُلمك مجسداً على أرض الواقع.

أنصت جيداً..!

● حين يخبرك أحدهم أن شموع الأمل انطفأت ورياح التوهج خبت وينابيع التفاؤل جفت.. فامسح اسمه من دفتر عناوينك واهرب منه هروبك من الأسد فهؤلاء هم السلبيون الذين سيحطمون إرادتك ويوهنون عزيمتك ويقتلون انجازاتك!

● أنصت فقط لذلك الصوت في داخلك الذي يقول لك أنك قوي بما فيه الكفاية لتكتب روعة البداية وجمال الحكاية.

● تذكَّر أن لا تنصت لأي إنسان سلبي بعد اليوم!

● إن النجاح غير مرتبط بالشهادات العلمية وعدم حصولك على شهادة لأي ظرف من الظروف ليس عذراً كافياً لعدم نجاحك.. بل تذكّر بأن معظم المخترعين والمشاهير والعظماء لم يكونوا من أصحاب الشهادات!

● فكِّر في قدراتك التي وهبها الله عز وجل لك ولا تُضيِّع وقتك في أمور لا قيمة لها.

في ليلة عيد

في الخامسة عشر من عمري مرض والدي مرضاً شديداً أجبره على ملازمة الفراش، ولم يعد باستطاعته العمل من أجل توفير لقمة العيش لأشقائي وأمي فقد كان يعمل مراسلاً في مستشفى خاص كبير وقد عُرف بدماثة أخلاقه وأمانته لذلك تعاطف مدير المستشفى مع ظروفنا الصعبة وسمح لي أن أتعين بمكان أبي ورغم أن هذا الخبر أسعده وأسعد أمي إلا أنه كان بمثابة الضربة القاضية التي أطاحت بكل أحلامي التي نسجتها وتلفعت بها في تلك اللحظات القاسية التي كان هجير الحياة يشتد بنا فيها!

كنت أحلم أن أصبح طبيباً مشهوراً ناجحاً وأن أعمل في نفس المستشفى الذي يعمل به أبي مراسلاً ولكني لم أكن أتخيل أن كل ذلك سينهار ويتبدد أمام ظروف لم تترك لي حرية الإختيار.. حين أخبرني أبي في ذلك المساء بالعرض الذي عرضه عليه مديره رسمت ابتسامة سعادة مزيفة حتى لا أزيد من آلامه.. وحين اندسست في فراشي ليلاً أخذت أبكي بكل مرارة الحلم حين يتعثر ويصبح مجرد خيوط واهية تسبح في الفضاء الممتد بلا نهاية!

كانت حياتنا أشبه بقطار قديم تآكلت إطاراته وصدأت السكة من تحته فلا يكاد يسير إلا حين تداهمه الرياح العاتية، كفافاً فقط هكذا كانت تسير الحياة بنا ، أخرج إلى عملي في السادسة صباحاً وأعود في الخامسة عصراً لأجد خمسة أفواه جائعة بانتظاري وأب مريض يرقد على فراشه وبضع نقود في جيبي لا تكاد تفي بطعام أو دواء أو ملابس أو إحتياجات إخوة لا تنتهي.

بعد سنة واحدة من المرض توفي والدي تاركاً أمي وأربعة أبناء صغار ورغم التركة الثقيلة التي كانت سنواتي الستة عشر تنوء بحملها إلا أني كنت سعيداً لأن أبي مات وهو راضي عني حيث كنت باراً به وحريصاً على خاطره وخدمته.

سارت بنا السنون ومضت بنا الحياة فتارة نصرعها وتارات عديدة تصرعنا حتى تكاد تُطيح بنا، أكمل إخواني دراستهم الجامعية وتوظفوا بوظائف بسيطة تبعد عنهم غائلة الحاجة وتكفيهم ذل السؤال واستقل كل واحد منهم بحياته وانتقلت والدتي إلى جوار ربها، وكانت دائمة الدعاء لي بالرزق والتوفيق وتحقيق كل أحلامي، وكم كنت أسعد بصدق كلماتها الحنونة وأحضانها الدافئة والإمتنان

الذي كانت تشعر بـه لكـل مـا قمـت بـه نحـو هـذه الأسرة والتـي ضحيت حتـى بحلمـي أن أصـبح طبيبـاً لأرسـو بهـا عـلى شـاطيء الأمان.

عشرون عاماً مرت منذ توفي والدي أديت أثنائها الأمانة التـي استودعني أبي إياها وطار كل واحد مـن إخـواني إلى حيـث بنـى لـه عشاً جديداً واستقل بحاله.

استقلت من عملي واستلمت مبلغـاً بسـيطاً جـداً واشـتريت بضاعة متواضعة جداً كنت أتجـول بهـا عـلى عربـة خشـبية متهالكـة وأجني منها ما يسد الرمق بالكاد. وبحثت عن زوجة صالحة تكمـل معي ما تبقى من حياتي وبفضل الله وفقني الله بها ورزقت منها بولـد وبنت.

كانت الأيام تمر بطيئة متثاقلة وكانت أقساها تلك الأيام التـي تحمل بـين طياتهـا مواسـم معينـة لابـد لهـا مـن مصـاريف إضـافية كالأعياد والعودة للمدارس وحلول رمضـان لأنهـا كانـت تسـتلزم مني جهداً إضافياً وتفكيراً متعباً بكيفية الوصول بأسرتي الصغيرة إلى شاطيء الأمان المالي دون أن أضطر للإستدانة والتي بلا شك كانـت تشكل عبئاً إضافياً آخر لا طاقة لي على سداده فيها بعد!

وإن أنسى فلن أنسى ما حدث في تلك الليلة التي كانت فصلاً مهماً في حياتي وكأني كنت أختبر بها نفسي- لأول مرة وكاد هذا الموقف أن يلقيني خارج أسوار الحياة.

ولكني كنت أتماسك دائماً ولا أحني رأسي إطلاقاً لأي عاصفة مهما كانت عاتية.. فلقد علمني والدي أن الضربة التي لا تقتلك تقويك، باستثناء هذا الموقف السخيف الذي كاد أن يجعلني أقف عاجزاً في مفترق الطرق لا أدري أيها أسلك، والآن عندما أغمض عيني أرى شريط ذلك الموقف يمر أمامي سريعاً بكل تفاصيله، وكأنه قد حدث للتو بالرغم من مرور ثلاثين سنة عليه! فذات يوم بعد صلاة الفجر فرشت بساطاً أصفر ضنت عليَّ أشعة الشمس الحارقة بأطرافه فبدأت بتمزيقه ثم رتبت بضاعتي المتواضعة التي كانت عبارة عن بعض العصير والبسكويت وقطع شوكولاتة، بضاعة متواضعة لكنها كانت تُدر علينا مبلغاً لا بأس به، وعند الساعة السابعة صباحاً يبدأ الناس في الخروج من منازلهم وكأنهم أسراب نحل تبحث عن رحيق الورود وأظل أنا أراقب أرجلهم، هل تتجه نحوي أم لا وينتابني شعور بالإنتعاش حين أرى بعض الإزدحام الجميل حول عربتي المتواضعة غير أن شيئاً واحداً كان يعكر صفو انتعاشي وهو رؤيتي لحذاء أسود لامع فوقه بنطال أسود

ثم بدلة فوقها بعض الخيوط الصفراء نعم إنه الشرطي المسئول عن أمن الشارع، الذي كان يقوم بطردي وفي أحياناً كثيرة حين كان يشتهي العصير البارد يقوم بنهري وتأنيبي فقط، وفي المساء حين أعود إلى منزلي المتواضع المكون من غرفة ومطبخ وحمام نقف طابوراً أنا وزوجتي وأولادي حين نريد الدخول إليه، أبدأ في عد نقودي وما حصلت عليه في ذلك اليوم وغالباً ما أجد زوجتي الوفية قد أعدت لنا عشاءً إما بطاطا مسلوقة وخبز أبيض، أو في أوقات الرفاهية الشديدة قد صنعت لنا طبقاً من الأرز وبازلاء بالطماطم وحبة برتقال وتفاحة نقسمها أشلاء بيننا..!! مرت حياتي على هذا النمط الرتيب وكنت قانعاً بها إلا أنني في غمرة انشغالي لم ألاحظ شيئاً مهماً وهو أن ولدي الوحيد وابنتي الوحيدة قد كبرا بدون أن أشعر ((فخالد)) في العاشرة من عمره ((ونادية)) في السابعة من عمرها، ما زلت أذكر هذه الليلة منذ ثلاثين سنة مضت وكأن ما حدث فيها قد حدث للتو، لقد كانت ليلة عيد وكنت عائداً لتوي من عملي المعتاد بعد أن بعت جميع ما لدي فليلة العيد أعتبرها موسم حصاد يطول انتظاره كل عام استلقيت على سريري الخشبي الذي يبدأ بالأنين كلما أتيت بحركة عليه أو انقلبت يميناً وشمالاً أغمضت عيني لأريحهما بعد عناء التحديق في أرجل البشر حين دخل عليَّ أطفالي الذي أعتبرهم أجمل هدية من الله، كان هناك في عيني نادية

رجاء غريب بينما ارتسم الحزن دفيناً على ملامح ولدي خالد أخذت أنقل نظري بينهما والصمت يُطبق علينا نحن الثلاثة، إلى أن قالت نادية بصوت منخفض بعث الخوف في قلبي.. أبي.. خالد ليس.. ليس.. ليس وتعثرت الكلمات على شفتيها بينما أطرق خالد بعينيه إلى الأرض.. يبحلق في قدميه العاريتين، قلت لها ((تكلمي يا حبيبتي ما به خالد؟! تكلم يا ولدي ما بك؟! ولكن خالد ظل مطرقاً، بينما سحبت نادية كمية من الهواء وكأنها تستعد للغطس تحت الماء، أبي خالد ليس لديه حذاء للعيد؟! انتقل بصري إلى خالد بسرعة، فرأيت حبة ماء كبيرة تتلألأ في عينيه لم يلبث أن أغمض جفنيه فانزلقت مسرعة على خده، اعتدلت في جلستي وأنا أفتح ذراعي لهما، تعالا يا أطفالي يا أجمل أمل يرتسم في دنياي القاحلة رمى خالد بنفسه في أحضاني وأخذ يجهش بالبكاء بشكل كادت معه تتقطع آخر نياط قلبي وهو يقول: أبي كيف ألعب مع أصدقائي في الشارع والحديقة وحذائي قديم ممزق تخرج أصابعي من مقدمته كلما ارتديته، لقد حاولت أمي أن ترقعه لكن آخر خيوطه تمزقت بين أصابعها، ضممته إلى صدري بقوة وكأني أحميه من كابوس هذا الحذاء لا عليك يا ولدي لن تشرق شمس العيد إلا والحذاء الجديد عند قدميك هكذا وعدته بصدق انهمرت قبلاته الدافئة الممزوجة بدموعه الحارة على قسمات وجهي.. لا أدري بعدها كم مر عليَّ من

الوقت وأنا أفكر في هذه المشكلة التي برزت لي فجأة فالوقت الآن متأخر وأخشى أن تكون جميع المحلات قد أقفلت إضافةً إلى أنني لم أُدرج هذا الحذاء ضمن ميزانيتي ولكنَ جميع جُهدي وتعبي وتحديقي طوال اليوم في أرجل الناس لا يُساوي دمعة تخرج من عينيَّ خالد، وضعت نصف كدحي لهذا اليوم في جيبي، وارتديت ملابسي وخرجت من منزلي المتواضع ولسعات البرد تكاد تحيل وجهي إلى كرة ثلج جامدة، كان منزلي بعيداً نوعاً ما عن السوق التجاري لذلك بدأت أهرول ثم ما لبثت أن بدأت أركض مسرعاً وعامود الهواء المتبخر من فمي كأنه دخان مدفأة مملوءة بالفحم في يوم شتويٍ قارس ومن بعيد رأيت وميض الأنوار، فأبطأت الخطى وأنا بالكاد ألتقط أنفاسي اللاهثة الحمد لله ها هو محل الأحذية لم يقفل بعد، أخذت أنقل بصري بين الأحذية اللامعة فما وجدت سوى حذاءين في مقاس خالد الأول محجوز لأحد الزبائن والثاني سعره خمسة أضعاف ما معي من مبلغ نظرت إلى البائع بعين يتيم في يوم عيد، وكأنه فهمني تماماً فرفع يديه صاداً محاولتي البريئة: لا تحاول يا أخي هذا سعره ولن ينقص قرشاً واحد، ولكن إذا أردت هناك محل في الشارع الخلفي لنا لديه أحذية رخيصة الثمن، خرجت من المحل بنفس منكسرة ورجلين متعبتين تماماً وامتد بصري نحو الشارع المنبسط أمامي، فازداد ألمي وجزعي فالشارع طويل جداً

وعلي أن أعبره ثم أستدير راجعاً من الجهة الأخرى لأصل إلى المحل الآخر، ابتدأت في الإستعداد سحبت كمية كافية من الهواء ووضعت يدي بقوة على جيبي حتى لا تسقط نقودي وانطلقت أعدو مسرعاً وكأني لص هارب تطارده الكلاب البوليسية، ولكم أحسست بالرغبة في الضحك وأنا أرى الناس يبتعدون عن طريقي يميناً وشمالاً ظناً منهم أني فقدت عقلي تماماً حتى إذا ما وصلت إلى منعطف الشارع لم أستطع أن أكبح جماح سرعتي فحاولت الدوران بكل قوتي ولكني سقطت بكل قسوة على أرض تصادف وجود بركة كبيرة من الماء فيها فابتل جسدي بالماء البارد وتمزق بنطالي حول مكان الركبتين وحاولت النهوض ضارباً بآلامي عرض الحائط ولكني لم أستطع إلا بعد جهد جهيد لأشعر أن هناك سائلاً دافئاً ذا لون أحمر يتقاطر من ساقي اليمنى أخرجت منديلي وربطت به مكان الجرح ثم واصلت مسيرتي لأصل إلى المحل وقد أوشك صاحبه على إغلاقه ولكن صرخة مني حالت دون ذلك، أخذت نظراتي تتراقص على الأحذية الجميلة ووجدت ما أردته.. حذاءً أسوداً جميلاً ذا ربطات بيضاء مُزين بنجوم زرقاء إنه فعلاً يستحق العناء، نقدت البائع ثمنه ثم وضعته في كيس وخرجت من المحل جذلاً مسروراً ولكنَّ شيء واحد نغَّص عليَّ هذه السعادة، فأنا لم أشعر أن هناك عينين ترقباني حين دخلت المحل وحين خرجت منه أيضاً.. شخص

علم بأني فريسةٌ مُنهكةٌ سهلةٌ المنال، لذلك مشى ورائي بخفة لم تجعلني أشعر به حتى إذا دنا مني شدَّ الكيس من يدي بقوة فانزلق تماماً وأخذه وهو يجري بكل قوته، أخذت أجري خلفه وأنا أصرخ أمسكوه أمسكوا اللص.. وبدأت الفرقة المطاردة من حولي تكثر فانضم لي واحد ثم اثنان وهكذا إلى أن شعرت أن جميع الناس تركوا أعمالهم وأخذوا يجرون معي همست لنفسي بصوت لاهث متقطع: ترى ما يكون شعورهم لو علموا أنهم يطاردون لصاً سرق حذاءً رخيصاً؟ وأخيراً ظهر شرطيٌ حسم هذا الهجوم غير المتكافئ فأمسك باللص والحذاء فتوقفت كل هذه الجموع الحاشدة تبارك هذا العمل البطولي.. ابتسمت للشرطي وأنا أضغط على أسناني من شدة الألم والتعب: شكراً لك أيها الشرطي وها هو اللص بين يديك.. افعل به ما تشاء.. ثم مددت يدي لآخذ الحذاء ولكنَّ صوته الجهوري المرعب جعلني أتراجع إلى الوراء "لا يجب أن نحرر محضراً بالواقعة".. ولكن ما الداعي لذلك هذا حذائي وهذا اللص سرقه مني وجميع هذه الحشود المباركة تشهد وارتفعت الأصوات، نعم نشهد، نعم نشهد، رد الشرطي بصوت جاف "ولكن النظام نظام" قلت له متوسلاً، ولكني يا سيدي تنازلت عن حقي ولا أريد شيئاً من هذا اللص أريد فقط حذائي، ولم أشعر إلا بيده الحديدية تجرني من أطراف ياقتي حتى خلت أنه قد علقني في حبل المشنقة،

وأمسك باللص باليد الأخرى ثلاث ساعات مرت إلى أن حضر الضابط المسؤول. حيث تم تنازلي عن حقي وتسليمي الحذاء، نظرت إلى الشرطي وددت لو أستطيع أن أصرخ بوجهه بكل قوتي من القهر ولكن الوهن والنعاس الذي بدأ يتسلل إلى أجفاني منعني من ذلك، خرجت من القسم وأنا أجر نفسي جراً، نظرت إلى السماء كانت الشمس توشك أن تشرق، فها هي آخر خيوط الليل السوداء توشك على الرحيل، أسرعت الخطى، وصلت إلى البيت، خالد ما زال يغط في نومه اللذيذ وقد تدثر ببطانيته في فراشه الدافئ.. وضعت الحذاء عند قدميه وأنا أهمس "لو تدري ما عانيته من أجل إحضاره.. لما طلبته مني" وارتميت على فراشي بدون أن أخلع حذائي المبتل بالطين أو حتى أعالج ركبتي المجروحة، واليوم حين أرى ولدي خالد بعد ثلاثين عاماً طبيباً جراحاً ناجحاً، يذهب كل يوم إلى عمله وعيادته الخاصة فإن أول ما يشد نظري إليه هو لمعان حذائه".

نعم أصبح ابني طبيباً وحقق حلمي الذي لم أستطع تحقيقه وكذلك ابنتي أصبحت طبيبة هي الأخرى، ولكن أصدقكم القول هذا الموقف الذي حدث في تلك الليلة جعلني أتساءل، ما الفرق بين "الدافعية" التي تولدت عندي تلك الليلة لإحضار الحذاء لطفلي

حتى لا يشعر بالألم بين أصدقائه في يوم العيد وبين الدافعية التي خمدت عندي حين دفنت حلمي في أن أكون طبيباً ورضيت بوظيفة بسيطة، لأتمكن بها من إعالة أبي وأمي وأشقائي، معادلة عجيبة ظلت ولمدة ثلاثين عاماً تتردد أصداؤها في عقلي، ترى لو أني حاولت مجرد محاولة أن أُحقق حلمي فهل كنت سأنجح لو أني فكرت بعرض حالة الإحتياج التي تمر بها أسرتي وقتها على مؤسسات خيرية واجتماعية أو أي طريقة أخرى. فهل ترى كنت سأنجح.. لماذا استسلمت منذ أول مرة ولم أحاول أبداً!

● هي تجربة أحببت أن أخبركم عنها ولعلها تكون قنديلاً من تلك القناديل التي يشتعل وهجها في نفس إنسان طموح لا يرضى بالاستسلام أبداً، (قوة الدافعية) يا لها من كلمة استنزفت ثلاثين عاماً من عمري لأعرف قيمتها إنها الحد الفاصل بين حلم يموت وحلم يتمسك بالحياة رغم توابيت الموت!

علمتني الحياة

● علمتني الحياة أن قوة الحق شمس لا تخفيها غيوم الظلم، ليس مهما أن تظهر الآن أو بعد قليل أو حتى غدا لكنها يقينا ستظهر ولو بعد حين من الدهر!

● علمتني الحياة أنك حين تشعر بأمواج اليأس تكتم أنفاسك وأحكام الآخرين تقتل روحك فلا تستسلم وقل يا رب إني مغلوب فانتصر وانتظر فرج الكريم الذي لن يخذلك!

● علمتني الحياة أن البحر يلفظ كل من يخشى الغوص بالأعماق فهو يختصر الطريق للذين تخيفهم المغامرة وتحدي أمواجه لذلك يرمي بهم على الشاطيء وكذلك الحياة تفعل!

● علمتني الحياة أن الصديق الحقيقي مثل المرآة كلما نظرت فيها وجدت صورتك الحقيقية، والصديق المزيف مثل الظل يلازمك تماما ولكنه يختفي حين تغرب شمس الأمل في حياتك!

● علمتني الحياة أننا لا نختار حياتنا لكننا نستطيع توجيه دفتها نحو الإتجاه الذي نختاره فإما أن نصل بها لشاطيء الأمان أو نتركها تتحطم فوق صخور مرجانية!

افعل ما يتوجب عليك فعله

حين اكتشفت ذات يوم أني كي أُحظى بتقييم مرتفع فإنه يتحتَّم عليَّ أن أقبل بانجاز عمل ستكون له نتائج سيئة على آخرين، صرخ شيء في داخلي "افعلي ما يتوجب عليك فعله" ولم يستغرق مني الأمر للتفكير واتخاذ قرار سوى بضع ثواني، دون أن أعبأ بما سينتظرني من تداعيات لرفضي هذا، كثيرون يتجاهلون هذا الصوت الذي يصرخ بهم لحظة اتخاذهم قراراً ما "افعل ما يتوجب عليك فعله" وهذا سر ندمهم فيما بعد لأنهم لم يكونوا صادقين مع أنفسهم فهم فكروا حينها بمردود مادي أو تقييم معنوي أو ترقية تنتظرهم، لكنهم في المقابل تناسوا تقييمهم لذاتهم الذي سينخفض لأدنى درجاته..!

إذن حين يصرخ بك ذلك الصوت من أعماقك فاستمع له جيداً وأصغي إليه، لأنه ضميرك يخبرك بما يتوجب عليك فعله..!

أذكر أنه ذات يوم اتصلت بي إحدى الموظفات بنبرة مرتجفة وبمجرد ما سمعت صوتها أدركت أنها ترزح تحت صراع نفسي- معين، وقد طلبت مساعدتي حين أخبرتني أنها تعمل في قطاع مهم وأن مديرها بالعمل طلب منها أن تقوم بتغيير تواريخ معينة في معاملة تحت يديها وحين رفضت هددها بنقلها إلى مكان لا يُرضي

طموحها المتوقد، وقالت أنه ما زال يضغط عليها بشكل شبه يومي وسألتني ماذا أفعل؟

قلت لها: "افعلي ما يتوجب عليك فعله"؟

قالت: أنا أشعر بصراع كبير في أعماقي بين ما يتوجب عليَّ فعله وبين ما أرغب أن أحصل عليه..!

قلت لها:-افعلي ما تؤمنين أنه سيجلب لك الراحة ويقضي على هذا الصراع في داخلك وأنا واثقة أن اختيارك سيكون صائباً.. توكلي على الله واستعيني به..

بعد فترة اتصلت بي ومن نبرة صوتها هذه المرة أحسست بمدى الإرتياح الذي تشعر به بادرتني قائلة:-لقد فعلت ما كان يتوجب عليَّ فعله من فضل الله تعالى، فلا شيء يستحق أن نخسر مبادئنا وضمائرنا من أجله فكل منجزات الحياة، ستصبح مجرد أكذوبة لا قيمة لها حين نضع رؤوسنا فوق الوسادة ليلاً، أو نقف وجهاً لوجه أمام أنفسنا في المرآة أو حين نتخيل صحائفنا تقرأ على الملأ يوم الحساب.

فحينها إن لم نكن قد فعلنا ما كان يتوجَّب علينا فعله، فستكون الخسارة فادحة جداً والثمن أكبر بكثير مما كنا نتوقع!

استمتع بيومك

● قالت صاحبتي: مرت علي ست سنوات فقدت فيها ثقتي بالحياة وبمن حولي واستسلمت للحزن وذات يوم أدركت أن باب الأمل لن يفتح لمن لم يطرقه صادقاً.

● عش اللحظة الراهنة بكل دقائقها وثوانيها وأنت في قمة استمتاعك بها دون أن تشغل نفسك بما يحمله لك الغد وتفاءل بأن القادم أروع وأجمل وأحلى!.

● حين تقابلك مشكلة ما فابحث عن الدعم وخاصة ممن تثق بهم من الأهل والأصدقاء فالوجع حين تقتسمه مع الآخرين يصبح أخف وطأة على النفس!.

● الإبتسامة هي سلاح يشق طريقه نحو القلوب بلا قتال وتستسلم له كل قلاع العالم بدون نزاع فدعونا نبتسم بصدق ومودة ألا يكفي أنها صدقة!.

● حين تشعر بأن أهدافك لا تتحقق فغيِّر من طريقة تفكيرك ولا تكن جامدا وروتينيا في التخطيط، فالكثيرين يصيبهم الإحباط واليأس من جراء جمود التخطيط.

موعد في الحديقة

حين أخبرني رئيسي في العمل أنه لا يستطيع منحي سلفةً ماليةً على الراتب، شعرتُ بصدمةٍ كبيرةٍ لكأنها أنا في القطب الجنوبي وأطنان من جبل جليديٍ يجثم فوق صدري، كانت أنفاسي تتلاحق بسرعة شديدة حتى شعرت بأنه سيغمى عليّ، لأن رفضه كان يعني لي تبعثر الأحلام وتطايرها أمام ناظريَّ بلا جدوى، لا أدري كيف عدت لمنزلي ولا كيف ارتميت على سريري، وحتى طفلي الصغير ذي السنة الواحدة لم أشعر به وهو يقفز حولي ببراءته ويرفع يديه نحوي لأحمله، ولم أسمع صوت زوجتي وهي تسألني ما بي؟ وهل أريد شيئاً لآكله؟

في المساء خرجت من منزلي حيث قادتني سيارتي المتهالكة إلى حديقةٍ عامةٍ صغيرة، جلست على أحد الكراسي وأنا أراقب الغادين والرائحين بلا اهتمام، كأني أنظر إلى لا شيء فقد كان إحساس المرارة وتحطم الآمال يتلاطم في صدري بلا كلل، وكأن جبل الجليد يزداد قساوة وثقلاً فوق صدري دون أي تباشير أمل في ذوبانه، إلى أن لفت نظري طفل في السابعة من عمره يُمسك بعلبة بلاستيكية

صغيرة ويضعها تحت صنبور ماء تالف وينتظرها إلى أن تمتليء بصبر عجيب، كان الصنبور بالكاد تخرج منه قطرات ماء، ثم يعود بعد فترة ويضعها مرة أخرى تحت الصنبور وقطرات الماء تنزل منه ببطء وتثاقل ثم يذهب بها ويفرغها ثم يرجع بها ليضعها تحت الصنبور من جديد وينتظرها لتمتلئ ثم يأخذها ويعود بها فارغة وهكذا استمر لأربع مرات دون أن يشعر بالإجهاد أو الملل، فناديته وسألته لماذا تفعل هذا؟!

أجابني: أنا أبني بيتاً من الرمل ولا يوجد في الحديقة سوى هذا الصنبور التالف الذي تخرج منه نقاط الماء هذه، فأضع العلبة تحته وأنتظرها لتمتلئ ثم آخذها وأسكبها فوق الرمل حتى أتمكن من بناء البيت الذي أريد!.

قلت له: حسناً.. وماذا لو لم يكن هذا الصنبور التالف موجوداً أصلاً في الحديقة هل كنت ستتخلى عن بناء بيتك الرملي..؟

نظر لي بدهشة وكأنه يستخف بسؤالي ووضع أصبعه على جانب رأسه قائلاً بثقة: "أكيد كنت راح أفكر بحل ثاني".

ثم تركني الطفل ذو السبع سنوات ليحمل علبته البلاستيكية المليئة بالماء ويُكمل بيته الرملي!

((كنت راح أفكر بحل ثاني)).

ظلت هذه الجملة الأخيرة ترن في أذني عدة مرات حتى أدركت يقيناً أن الله تعالى قد ساقني إلى هذه الحديقة لأتعلم أكبر درس في حياتي من أصغر معلم قد يخطر على بالي، سبحان الله، لماذا نحزن حين نطرق باباً ولا يُفتح لنا، بينما هناك أبواب تنتظرنا أن نطرقها لتُفتح لنا، إنها المعادلة العجيبة التي تعلمتها من ذلك الطفل الصغير إصرار+ وضوح رؤية= تحقيق الهدف، في صباح اليوم التالي كنت أُقدم أوراقي على مدير البنك للموافقة على قرض مالي، بعدها بأسبوع جاءتني الموافقة وقد سررت كثيراً بذلك، رغم أن كل من حولي حذرني من الفشل الذي ينتظرني وقد حاولوا شحني بكل الشحنات السلبية التي قد يتخيلها أي إنسان "ستندم حين يفشل مشروعك، أنت مغامر مجنون مالك ولوجع الرأس، سيشمت بك الناس حين تنهار أحلامك، عندك فرصة للتراجع الآن ففكر قبل فوات الأوان.. وو.. وو.....".

لكن الدرس الذي تعلمته من ذاك الطفل كان ما يزال راسخاً في ذهني، كأنما هو جرس ينبهني كلما حاولت أن أتراجع "كنت سأفكر في حل آخر".

كان مشروعي عبارة عن إعداد وجبات خفيفة وساندويتشات وتوصيلها بنظام التوصيل السريع.. بدون أن يكون هنالك استقبال للزبائن كالمطاعم العادية.. فقط إعداد الوجبات وتوصيلها وبالمبلغ الذي اقترضته من البنك والذي كان قسطه الشهري يستهلك نصف راتبي اشتريت الأجهزة الضرورية كالفرن والشوايات والأجهزة الكهربائية وسيارة توصيل صغيرة رخيصة ومواد غذائية وغيرها.. وقمت باستقدام عمالة متخصصة وتم الإفتتاح يوم ويومان لم يأت أحد، كُنت أقدم أغلب الوجبات للأهل والجيران لأن أحداً لم يطلبها، أسبوع مر، وفي كل مرة كنت أسترق النظر للهاتف أنتظره أن يرن.. ثم أتفحصه لعل به سلكاً مقطوعاً أو خلل ما، أسبوعان.. شهر كامل.. بدون أي طلبية.. وبدأ اليأس يدب في نفسي ففي هذا اليوم دفعت راتب العاملين وفاتورة الماء والكهرباء وإيجار المحل وهذه المصروفات في لغة رجال الأعمال تعتبر خسارة فادحة لأن

المصروفات أصبحت أكثر من الإيرادات فكيف لو كانت الإيرادات صفر!

"كنت سأفكر في حل آخر" قفزت هذه العبارة إلى ذهني مجدداً وتساءلت أين الخلل؟ لماذا لم ينجح المشروع؟ ولماذا لم أجد له صدى؟ ما هي الحلول التي ينبغي عليَّ أن أفكر بها؟ لابد أن هناك خطأ ما لم أنتبه له. أو حلقة ضعيفة في سلسلة مشروعي..!

حاولت أن أفكر أن أُوجد حلاً لكني لم أستطع وتساءلت هل سأستسلم..؟! هل سأُعلن فشلي؟ هل سأتوقف حيث أنا معلناً الهزيمة؟ ووجدتني أرفض جميع هذه الأفكار السوداء، وذهبت إلى أحد رجال الأعمال الناجحين من أولئك الذين يُطلق عليهم العصاميون والذي بدأ في تكوين ثروته من الصفر كما يقولون.. وعرضت عليه مشكلتي وطلبت مشورته في الأمر، ابتسم قائلاً: "يا بُنَيَّ كيف تتوقع من الناس أن تأتي إليك وهم أصلاً لم يسمعوا بمطعمك، يجب أن تُسوِّق لمنتجك ثم تنتظر وصول الزبائن وعليك أن تؤمن بأهمية التسويق والدعاية والإعلان"!

ذهبت في الغد إلى شركة إعلان وقاموا بطباعة "ملصقات وبروشورات وتوزيعها على المرافق الحكومية كالمدارس

والمستشفيات والبريد والهاتف وأيضاً الشركات الخاصة.. كما قاموا بوضع بالونات كبيرة جداً متحركة ملونة أمام مطعمي لتلفت انتباه العابرين.. كما تم تصميم دعاية جاذبة أنه يوم كذا سيكون وجبات مجانية لكل من يزور المطعم ويتعرف على خدماته وقائمة الطعام فيه.. كما تم إرسال رسائل إلكترونية لإعلام الآخرين عن خدمات المطعم وتم بث دعاية جيدة في المواقع الإلكترونية.. خلال أسبوع واحد كنت قد وقعت ثلاثة عقود مع ثلاث جهات حكومية لتوفير وجبة الإفطار مع العصائر، وبعدها بشهر واحد فقط احتكرت وجبات الإفطار وتوصيلها للمدارس الحكومية في منطقتي، إزداد ضغط العمل وانهالت عليَّ العقود والطلبات حتى اضطررت للإستقالة من عملي والتفرغ التام لمشروعي، ومن فضل الله التام الآن أمتلك خمس مطاعم طلب وتوصيل لكافة الوجبات اليومية وعندي مائة موظف ودخلي السنوي بالملايين!

وهذا كله من فضل الله تعالى ثم من فضل طفل صغير عمره سبع سنوات قال: "كنت سأفكر في حل آخر".

● لذا نصيحتي لكل من يقرأ حروفي إياك أن تتوقف أمام الباب المغلق فذلك سيستنزف طاقتك وجهدك ويتسبب في شحنك

بطاقة سلبية مدمرة، وانظر إلى الأبواب الأخرى المفتوحة فحتماً حين ستدخل إحداها سترى الأمل واقفاً في استقبالك فاستعن بالله وابدأ بالتفكير من الآن بالأبواب الأخرى!

ولا تتردد في استشارة من تثق به ممن عركتهم الحياة فهؤلاء يملكون الخبرة العميقة وبُعد النظر.

احتفل بنقاء قلبك

● عند تصميمك لهدفك وإيمانك به اعتبر نفسك أصماً تماماً ولا تنصت للمخذلين من حولك فلو استمعت إليهم ستظل في مكانك وسيصبح هدفك مترهلا بمرور الأيام!

● حين يتخذ الإنسان قرار ما فعليه أن يبدأ في التنفيذ ولا ينهزم، وأن يبتعد عن التبرير للآخرين لأن ذلك سيستهلك طاقته!

● حين تكون حروفك متعرجة فلا تلم نفسك لأنك لم تُحسن الكتابة فربما كان اللوح الذي تكتب فوقه متشققاً فارمه بعيداً.

● حين تقترب منك عواصف الحياة فلا ترتجف منها وكن شجاعا في مواجهتها فهي ستزيدك صلابة وقوة وفهما أكثر للأمور وستجعل منك حكيما مالم تقتلك!

● حين تتكسر سهام البغضاء على أعتاب قلبك فاجمعها وأشعلها وتدفيء بها ثم راقبها وهي تتحول رمادا تذروه الرياح المهم أن يظل قلبك نقياً من غبارها!

● ضربات الفشل التي تتلقاها هي عملية صقل متينة لذاتك.. بشرط ألا تنصهر تحتها.

لم يكن حلماً

تزوجت وأنا طفلةٌ في عمر الزهور، لم أكمل عامي الرابع عشر بشاب لم يكبرني بالكثير من السنوات ، وكان من عادات أهلي تزويج الفتيات وهن صغار، على الرغم من أنه لم يكن لي صديقات متزوجات في نفس مرحلتي العمرية.

حين تزوجت في الصف الثاني المتوسط كان من شروط عقد زواجي أن أُكمل دراستي هكذا شرط والديَّ على زوجي لأنهما يعلمان جيداً تفوق إبنتهم في دراستها حيث كنت من أوائل الطالبات في صفي الدراسي .

تزوجت وبعد زواجي بدأ زوجي يتضجَّر من دراستي، فكلما أيقظته في الصباح للذهاب إلى المدرسة لم يكن ينهض بسرعة بل كان يتعمد النوم ويتصنَّعه ، كنت أتوسله أن يستيقظ لأني تأخرت عن الطابور الصباحي وستُوبخني مديرة المدرسة على التأخير لكن زوجي لم يكن يستجيب إلا بعد أن أفقد الأمل في استيقاظه ويرى دموعي تتساقط من عينيَّ فتأخذه الشفقة فينهض ولكن بعد أن يسمعني شيئاً من الكلام الجارح ويذهب بي للمدرسة وهو عابس الوجه غاضب تماماً من إلحاحي.

درست شهر فقط بعد زواجي ولم أستطيع أن أكمل دراستي بسبب تأخري دوماً عن المدرسة وتوبيخ مديرة المدرسة لي أمام الطالبات لتأخري المعتاد، وذات يوم تأخر زوجي ولم يحضر لاصطحابي من المدرسة، انتظرته كثيراً ولم يأت ولم يكن لديَّ في البيت هاتف لكي أتصل عليه من غرفة الإدارة ولم يكن حينها قد ظهر (الجوال)، تخيَّلوا لقد تأخر إلى الساعة الثالثة ظهراً، كل الطالبات خرجن من المدرسة ولم يبقى سواي مما اضطرني إلى الإتصال ببيت أهلي أشكو لهم أمري، وما هي إلا دقائق ويأتي إليَّ أخي لأذهب معه إلى بيت أهلي، لأتفاجأ بزوجي يقف على باب بيت أهلي يشتكي لوالدي عدم وجودي بالمدرسة، وسرعان ما أخبرته بأنني انتظرته ولم يحضر وبإمكانه سؤال المدرسة أو حارس المدرسة الذي كان يشاهدني بين الحين والآخر أسأله عن وصول زوجي،فقد كان يعلم زوجي بأنه مخطئ في تأخره لأنه لم يستيقظ إلا متأخراً وحين ذهب إلى المدرسة أخبره الحارس أني ذهبت إلى بيت أهلي قبل قليل ، لكنه أراد أن يقلب الموضوع ضدي ويضخمه

لتكون لديه حجةٌ قويةٌ حتى أتوقف عن الدراسة، خاصة أن والدي تضجر من اتهامه لي بعدم وجودي بالمدرسة مما أجبر والدي أن يأمرني بالتوقف عن الدراسة والمكوث في البيت ولكنني رفضت، فصرخ والدي عليَّ بعنف شديد وهو يدرك بأنه سيظلمني لكن خوفه على تدمير بيتي اضطره إلى فعل ذلك، كانت والدتي معي لأنها تشعر بظلمي، فوقفت معي ضد والدي وحاولت حل المشكلة وأنهتها وأخذني زوجي وذهبنا إلى البيت .

ظللت أبكي لساعات متواصلة لأن زوجي شك بي، وشعر زوجي بتأنيب الضمير وحاول جاهداً أن يرضيني وطلب السماح مني وأخبرني بأنه يفضل أن أترك الدراسة لأتفرغ له لأن الدراسة شغلتني عنه وأتعبته فلا يقوى على دوامه (الشفتات) ودوامي، فهو لم يعد يرتاح، لكنني أصررت على الدراسة فما كان منه سوى الموافقة حتى يرضيني.

ذهبت للمدرسة للأسبوع الرابع من دراستي ورجعت "ربما لعادتها القديمة"، نفس المشاكل والتضجر والصراخ والصدامات والصياح ، تعبت ففكرت أن أترك الدراسة تلك السنة لاسيما أنني

حامل لذا قررت أن أتفرغ له ولشؤونه وطلباته وأرضي نفسه فيهدأ عني وألد وبعدها سأعود للدراسة، فرح زوجي وسعد ورحب بفكرتي ووافق عليها.

جاءت السنة الثانية من زواجي واقترب موعد الدراسة، أخبرت زوجي بأنني سأعود للدراسة لكنني تفاجأت برفض شديد منه لقراري هذا، سألته: لماذا ترفض ونحن اتفقنا على ذلك ؟! فأخبرني: أنا لا أريدك أن تدرسي ..لا أريد مسؤولية ومشاكل مدارس ، فقلت له: لكنك مجبر على ذلك فلا تنسى شرط الدراسة في عقد زواجي، أجابني: صحيح أنه شُرط علي الدراسة لكن لم يُشرط علي أن أقوم بتوصيلك للمدرسة، فإن رغبتي أن تكملي دراستك دعي أحداً من أشقاءك يتكفل بمواصلاتك ولا أقبل أي شخص آخر غير أخيك لا سائق أو غيره ، لقد كان يعلم تماماً بأنه لا يوجد أحداً من أشقائي متفرغ لي خاصة بأن بعض منهم لم يكونوا في نفس المدينة التي كنت أسكن بها مع زوجي فمن الصعب أن أجد من يلتزم بمواصلاتي، وأخبرت والدتي بشرط زوجي وكلي خيبة أمل وإحساس بالإحباط، وضاعت سنة أخرى لم أدرس وضاعت معها أحلامي الدراسية.

انتهت السنة الثانية وجاءت سنة جديدة استبشرت وتأملت بأنها سنة خير وطلبت من زوجي أن أعود إلى دراستي ولكنه رفض، حاولت معه باللطف واللين، توسلته ، استعطفته، لكنني فشلت، ومرت السنة تلو السنة وفي كل سنة كنت أُعيد نفس السيناريو وأطلب من زوجي أن أعود إلى دراستي ولحظتها كانت تتوقد حرائق بيننا لا تنطفيء إلا بالصراخ والبكاء ثم الإستسلام .

مضت ثماني سنوات وأنا لم أيأس في كل سنة أحاول مع زوجي لدرجة أصبحت الدراسة حُلماً لي صعبٌ تحقيقه، كنت أبكي وأشكي لربي أن يمنحني العودة للدراسة أو أن يزيل حب الدراسة من قلبي.

كثيراً ما كنت أعاني من إحراجات عند وجودي في أي مجتمع نسائي فيه نساء مثقفات متعلمات إلا أنا، فكل زميلاتي وصلوا الجامعة بينما أنا في نفس المكان الذي غادرته حين كنت في الرابعة عشر من عمري بالمرحلة المتوسطة ، حتى زميلاتي الفاشلات دراسياً أكملن دراستهن بينما أنا الطالبة المتفوقة لم أُكمل دراستي، وكنت ألوم والدتي لأنها هي سبب زواجي المبكر وسبب توقفي عن

التعليم، وكانت والدتي حزينة جداً على وضعي لأنها تعلم حبي للعلم وللدراسة والمدرسة وأنها قضت على رغبتي وطموحي بزواجي المبكر، ولكن الندم لم يعد ينفع فأنا أصبحت أم لثلاث أطفال، فكانت تُصبرني حتى لا أُدمر بيتي.

بعد مرور ثماني سنوات من المحاولات عدت مرة أخرى أفتح موضوع الدراسة مع زوجي ، وكنت أعلم بأن مجرد كلمة دراسة ستُشعل ناراً لا تنطفيء ولكنني كنت عازمة على المحاولة في كل مرة لأن عشقي العميق للدراسة لن يجعلني أفقد الأمل مهما كانت قوة الرفض منه ، فاستجمعت كل قواي وفتحت معه الموضوع وأغمضت عيناي لأني كنت أنتظر منه صراخ يعلو المكان ونبضات قلبي تخفق خوفاً من المشاكل وأدعو الله في قلبي (ياربي كن معي وساعدني) ولكنني لم أسمع نفس النبرة المعتادة، سمعت كلمة جديدة أضاءت لي بصيص من الضوء الممزوج بالأمل، لكنني لم أستوعب فأعدت عليه طلبي: زوجي أريد أن أدرس ، فيرد على طلبي بنفس الكلمة : حسناً لم أصدق فكررت طلبي مرة أخرى لدرجة ابتسم زوجي وهو يقول لي أوافق ولا مانع لدي !

لم أصدق أذنيَّ، أحقا ما أسمعه أم هو خيال أم حقيقة أم حلم، همست لنفسي " لا بل هي حقيقة نعم لقد أعادها لي أكثر من مرة وابتسم لي دليل على موافقته ورضاه، سأعود إليك يامدرستي، يا كتبي وأوراقي وأقلامي، سأعود إليكم من جديد، ولن أترككم ستبقون معي في قلبي وعقلي، ولن أتنازل عنكم بعد اليوم سأبدأ وسأنطلق من الصفر إلى المليون " هكذا دونت مشاعري في مذكراتي اليومية ولم أعلم بأن كلماتي كانت لها دلالات لم أفهمها حينها ولكن شاء الله أن أفهمها فيما بعد!.

بدأت حياة جديدة مع بداية عودتي للدراسة، حياة كلها كفاح ومثابرة، واثبات الذات، حياة مليئة بالعلم وتفجير ما بداخلي من حب وشوق للدراسة، ولكن لم أعلم أن تمني الوصول لتحقيق الأمنيات لابد من مواجهة الصعاب..فلن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا.

كان شرط زوجي على عودتي للدراسة أن لا أرسب وإن رسبت سأتوقف لأنه غير مستعد بأن يضحي من أجلي ويتحمل غيابي وربما تقصيري في البيت والأولاد وفي النهاية أرسب ، لقد

وضع ذلك الشرط ظناً منه أنني سأفشل خاصة بعد انقطاعي فترة طويلة عن الدراسة بالإضافة إلى أن المدرسة لم تقبلني سوى (منازل) أي انتساب بسبب انقطاعي فترة من الزمن ولكنه نسي- إرادة الله وأن الله مع عباده الطامحين والصابرين يوفيهم أجورهم كما تناسى أن شغفي وعشقي للدراسة سيجعلني أشد إصرارا على تذليل كل الصعاب أمامي.

عدت لأدرس في الصف الثاني متوسط، كان إحساسي غريب بعد انقطاع ليس بالقليل خاصة وإنني الآن أم ومن معي طالبات في سن المراهقة ولكنني لم أبالي، وبعد أيام من دراستي يعود زوجي في نفس المشاكل ولكن بطريقة أخرى حيث بدت عليه الغيرة من دراستي وانشغالي عنه، وانتقلت مشاكلي لبيت أهلي فحاولوا إيقافي لكني الآن لن أرضخ بعد أن تذوقت مرارة بعدي عن الدراسة وحلاوة عودتي لها، هيهات أن أستسلم، حاول أخي أن يتدخل في الموضوع وأن يقنعني بالتوقف عن الدراسة خوفاً على بيتي فقال لي: أنت امرأة في الثانية والعشرين من عمرك ولديك ثلاثة من الأبناء وأم كبيرة أمام طالبات قبل سنتين كن في المرحلة الإبتدائية ألا

تخجلين من نفسك وأنت تدرسين مع أطفال؟! صمدت ولم أتحطم فأجبته أنا لم أذهب إلى المدرسة لأقيم علاقات صداقة ومعرفة! أنا أريد أن أتعلم فقط فلا يهمني من يكون معي، شعر أخي بقوة عزيمتي فحاول أن يأتيني بطريقة أخرى أن المرأة حياتها بتربية أبناءها وطاعة زوجها ولا يغرنك كلام الناس بأن المرأة سلاحها علمها ودراستها فالمرأة سلاحها هو دينها وذلك بطاعة ربها ثم رضا زوجها، لكنني ظللت صامتة والدموع تملأ عيني لأنني محاربة من زوجي وأخي وأهلي.

لم يكن أخي هو فقط من حاول إحباطي فهناك أُناس حاولوا إحباطي خاصة بعد أن عرفوا عمري والمرحلة التي عدت لأكمل دراستي منها ومن الأمور الايجابية أن هناك آخرون وقفوا بجانبي وشجعوني .

انتهيت من دراسة الصف الثاني المتوسط منازل ثم ثالث متوسط وقد كنت متفوقة على الرغم من أني أدرس منازل وكانت المعلمات فخورات بي لأني مثال للطالبة والأم المكافحة، وقد سجلت منتظمة في المرحلة الثانوية لأني متفوقة فساعدتني مديرة المدرسة على ذلك نتيجة جدي واجتهادي وتفوقي.

بدأت أدرس الثانوي وحاول زوجي جاهداً إقناعي بصعوبة المواد الدراسية وعدد المناهج الهائل محاولاً زراعة الخوف في نفسي ناحية بعض المواد مثل الفيزياء والكيمياء والبلاغة والنحو، لكن لم يكن يدري بأني كنت في شوق كبير واندفاع عظيم للتعرف على هذه المواد والتفوق فيها أريد أن أتعلم ما بداخلها من خبايا، أرغب بمعرفتها ومذاكرتها لأتحدى صعوبة أي مادة لأثبت لنفسي بأنني قادرة على تحدي أي عراقيل أمامي في سبيل الفوز بالنجاح والتفوق بالدراسة التي عشقتها حد الثمالة .

كنت أدرس وأذاكر إلى جانب إشرافي على دراسة أبنائي الذين كانوا متفوقين دراسياً اقتداءً بي إلى جانب أني كنت أرعى بيتي وزوجي وأنجبت طفلين خلال دراستي ولكن هذا كله لم يمنعني من مواصلة دراستي.

انتهيت من المرحلة الثانوية وانتقلت إلى المرحلة الجامعية ومازال طموحي لا يعرف الحدود وأرغب بالمزيد، وأما زوجي فكان لا يرحمني في تقصيري نحوه، وإن كان في بعض الأحيان يشفق عليَّ حين يراني متعبة طوال يومي، وأحياناً يصرخ عليَّ ربما من غيرته بأن هناك حب يزاحم حبي له ظنا منه أن حبي للدراسة يفوق حبي له.

انتهيت من دراستي الجامعية لكن لم ينتهي بعد طموحي قدمت على الدراسات العليا وكان عدد اللاتي قدمن عدد كبير لم ينجح أحدا منهم سوى ثلاث كنت في الترتيب الثاني وبدأت أشعر بنوع من الرضا بعد أن تم قبولي بالماجستير ، شعرت أنني الآن بدأت أقنع نفسي بأنني أنجزت، أكملت دراستي في الماجستير ومنحت الدرجة بتقدير ممتاز، وأما زوجي ففي مرحلة الماجستير رضخ أمام قوتي وصمودي واستسلم وأدرك أن ليس هناك عائق في الدنيا سيقف أمامي وأمام أي شخص يريد أن يصل لهدفه ما دام مُصرا عليه جادا في الفوز به ، فبدأ يتغير معي للأفضل وتوقف تماماً عن مشاكله بل ساعدني ومنحني المزيد من التشجيع .

ها أنا قد كتبت لكم حكايتي وها أنا أختمها لكم بمنتهى السعادة والفخر بذاتي، لأخبركم بأنني الآن موظفة بوظيفة مرموقة وزوجي تغير معي تغييراً جذرياً ، تفوقي وكفاحي وطموحي جعله يغير طبعه وأسلوبه وتعامله معي، وأصبح يحترمني ويقدرني ويهتم بي، التحديات التي مررت بها في حياتي جعلت زوجي يتغير حتى مع الناس، تفوق أبنائي مع تفوقي جعلني امرأة فاضلة في حياته،

وصلت لمرحلة فرضت فيها احترامي على الجميع ، بعد أن كنت أحرج من أن أكون في مجتمع أخجل فيه من مستواي التعليمي ، أصبحت فخورة بنفسي كثيراً، فبالعلم زادت مكانتي وقويت ثقتي بنفسي وارتحت نفسياً واحترمني الآخرون وأقتدى بي كل من حولي ، أبنائي وأهلي وصاحباتي وكل من عرفني فيما بعد .

وأما أخي الذي وبخني في ذلك الموقف الحزين وكاد أن يساهم في تحطيمي فقد كان أول المهنئين لي والمتابعين لنجاحي بعد أن لمس إصراري وإرادتي وأعجب بتفوقي .

● هذه رسالة ابعثها لكل فتاة كانت أو امرأة أن العلم والعزيمة سيرفعها درجات في نظر نفسها و في نظر الآخرين لها كزوجها أو من حولها ، ولو أنني استسلمت ولم أكمل دراستي لربما لم يتغير زوجي معي، ولظللت في نظره امرأة جاهلة ، ترتجف من أحلامها حين تُلح عليها وتتحطم معنوياتها حين تتذكر أمنية لم تحققها، لذلك اصنعوا من العوائق جسوراً تعبرون فوقها نحو أهدافكم واجعلوا من حسن الظن بالله ثم العزيمة والإصرار وقوة اليقين رفقاء معكم في رحلتكم نحو حقول الأمل والحصاد المثمر!

وأقول لكم بأن أبنائي الكبار تخرجوا من الجامعة وهم فخورين بأمهم ، وأنا فخورة بنفسي- لأني حلمت وأصررت على تحقيق حلمي ولم أكتفي بأن يكون حلما فقط أغفو فوق وسادته كل ليلة ..!

● **وقفة تأمل:**

عثراتك أحياناً قد تكون سبباً في دخولك من بوابة المجد فلا تخجل منها ولكن كن ذكياً بما يكفي لتستفيد منها..!

لا تنصت إليهم

● إن تلك القوارب التي تحمل الفارين من البؤس قد توصلهم لشاطيء الأمان لكنها لن تغزل لهم من خيوط الأحلام دثارا يحميهم من الصقيع!

● تيتانيك قالوا بأنها السفينة التي لا تقهر فغرقت من أول رحلة لذلك اعلم أنه مهما بلغ نجاحك وثراؤك فأنت معرض لمفاجآت الحياة فلا تغتر بنفسك ولكن كن قوياً بربِّك!

● كن واثقا بربك ولا تستسلم لحبال المنهزمين الذين يحاولون بها أن يشدوك للأسفل حيث الحطام فاقطع حبالهم وحلق عالياً حيث الجمال والرؤية وأبواب السماء.

● في إحدى الدورات سألنا المحاضر أيهما أكبر الأزمة أم الكارثة؟ اختلفت الإجابات وتباينت، وأجبته كل كارثة تؤدي إلى أزمة وليس كل أزمة تؤدي لكارثة!.

● الجداريون هم الأشخاص الذين لا يسمعون سوى صوت أنفسهم لذلك تظل تتحدث إليهم وفي النهاية يرتد إليك صوتك مجرد صدى هؤلاء سيضيعون وقتك فلا تحاورهم!.

الأماني لا تحترق

حصلت على شهادة الصف السادس الإبتدائي، وكنت الأول على زملائي في مدرستي الإبتدائية بالمذنب عام ١٣٩٢هـ وكانت رغبة جدي أن أكون عالماً شرعياً فسجلني والدي في معهد عنيزة العلمي والذي كان يبعد عن المذنب قرابة ٣٠ كيلو متراً ووقتها لم تكن توجد مواصلات تمكنني من التردد لأجل الدراسة فاستأجرت منزلاً في عنيزة وسكنت فيه أعزباً منفرداً وكانت والدتي رحمها الله تأتي إليّ أحياناً وتبقى عندي عدة أيام وأذكر أنه في يوم ما رغبت أن أطبخ الغداء حين أحسست بجوع شديد فأشعلت الغاز بعد عودتي من المعهد ووضعت القدر وصعدت لأرتاح قليلا على سريري وغلبني النوم ولم أستيقظ إلا على رائحة دخان كاد يكتم أنفاسي ونزلت مسرعا مذعورا حين تذكرت أني نسيت الأكل فوق النار لأتفاجأ بأن المطبخ قد أصبحت جدرانه سوداء بالكامل من أثر الدخان مما أصابني باختناق شديد كدت معه ألا أتنفس لكني تحاملت على نفسي فأغلقت الغاز وإذا بالقدر قد نفذ ماؤه واحترق

وحمدت الله على السلامة وقررت أن لا أطبخ مرة أخرى وأنا في هـذا الوضع المنهك، وواصلت دراستي فيما بعد حيث تنقلت في السكنى في كل من بريدة والمذنب حتى أنهيت الكفاءة وهي التي تعادل الصف الثالث متوسط الآن !

انتقلت للرياض وعمري ١٧ عاما وتوظفت في بنك التسليف السعودي سنة كاملة وسجلت في الثانوية التجارية مساء فتعرفت على أصدقاء يدرسون معي ويعملون في الجمارك فأبديت لهم رغبتي في الإنتقال للجمارك فأيدوني ودلوني على الطريقة وانتقلت للجمارك وواصلت دراستي وعملي في فترة آخر الليل أحياناً وفترة الصباح أحياناً وحصلت على الثانوية من فضل الله.

في عام ١٤٠٢هـ تزوجت بإمرأة صالحة فاضلة فأصرت عليّ بمواصلة الدراسة فذهبت لجامعة الإمام برفقة بعض الأصدقاء وسجلنا في قسم الدعوة والإحتساب التابع حينها لكلية أصول الدين وكنا ثاني دفعة فيها.

واصلت دراستي منتظماً في الكلية في الملز صباحاً والعمل الحكومي في الجمارك مساءً حتى تخرجت من الكلية عام ١٤٠٧هـ

بتقدير جيد جداً مرتفع ورغبت بمواصلة الماجستير ووجدت تشجيعاً من قبل بعض أساتذتي وزملائي فدرست السنة المنهجية للماجستير عام ١٤٠٨هـ وانتقلت أثناءها إلى مطار الملك خالد، ثم تعينت فيها بعد داعية في رئاسة البحوث العلمية والإفتاء، ثم وصلني خبر انتقالي للجامعة معيداً فاستكملت أوراقي وأنا أكاد أطير من شدة الفرح وباشرت في كلية قسم الدعوة، وواصلت البحث في الماجستير ثم الدكتوراه بحمد الله وتوفيقه ثم دعاء والدَّي -يرحمهما الله تعالى- حتى حصلت عليهما، وقبل ثلاث سنوات حصلت على درجة أستاذ مشارك وفي طريقي الآن للحصول على الأستاذية قريباً إن شاء الله تعالى، لذا مهما كانت ظروفك صعبة وغير مريحة فلا تتوقف عن الكفاح بل اتكل على الله ثم على إيمانك بذاتك فإن الناجح لا تحترق أمنياته أبداً..!

● **وخـزة:**

السؤال ليس إن كنت ستقع أم لا وإنما إن كنت ستنهض بعد الوقوع أم لا.. "فينس لومباردي".

تعلم فن العطاء

● علمتني الحياة أن لا أفقد ثقتي بنفسي ـ وإن حاربني العالم أجمع وأن لا أبتهج لانتصار ثمنه خسارتي لنفسي ـ ألا مرحى لسهام تتكسر على أعتاب الثقة!

● إن الذي يعمل المعروف وينتظر الشكر من الناس كمنقب عن الذهب بالطين قد يجده وقد لا يجده لذلك خيراً له أن يحتسب الأجر من الله وحده.

● إن سكة القطار تتمدد بالحرارة وتنكمش بالبرودة لكن القطار لم يتوقف يوما بسبب انكماش أو تمدد يا لروعة القطار حين لا يأبه!

● روعة النتائج أنها تأتي بعد بذل مجهود فمريم عليها السلام قال لها ربها هزِّي إليك بجذع النخلة رغم أنه قادر على منحها الرطب بلا جهد!

● جمال الحياة أنها كل يوم تحمل لك مفاجأة جميلة أو بائسة بحسب نظرتك أنت لها والأجمل أن نظل نحبها رغم تقلباتها فهي تهبنا دروسا مجانية كل يوم!

● حين تطالب بحقك فابق رأسك مرفوعاً واجعل نبرة صوتك واضحة وشد أكتافك جيداً لأن لغة الجسد أكثر تأثيراً من لغة الكلام وإياك والإنحناء إلا لخالقك!

● هل هاجمك أحدٌ من قبل؟ ورفض أفكارك!

● هل وصفك أحدٌ بالفاشل؟!

● هل أرسل لك رسائل سلبية محطِّمة للنفس؟!

● هل صممت أُذنيك عن كل هذا ومضيت قُدماً في تحقيق أفكارك وأهدافك؟

إذا كانت إجاباتك كلها بنعم فدعني أُبارك لك مقدماً لأنك قريباً ستنضم لقوافل الناجحين الذي يدركون جيداً أن الإيمان بالله ثم بالذات هو البوابة الحقيقية لكل إنجاز عظيم.

القرار الصعب

حصلت على دبلوم تجاري بمدينة الرياض، إضافة لعدد من الدورات في معهد الإدارة العامة بالرياض، والتحقت بالعمل الوظيفي بداية بالقطاع المصرفي ولمدة سنة ونصف تقريباً، كان العمل المصرفي مميز بل أكثر من رائع.

بعد ذلك تلقيت عرضاً وظيفياً للعمل في مدينة الملك عبدالعزيز الطبية للحرس الوطني في الإدارة المالية، حيث كنت أعمل في أحد البنوك المتواجدة داخل حرم المدينة وجلّ ما نقدم من خدمات مخصصة للمدينة ولمنسوبيها، أمضيت قرابة عام واحد، بعد ذلك تلقيت عرضاً للعمل بالقطاع الحكومي مديراً لمكتب مدير عام بالمرتبة الخامسة عشر، باشرت العمل الحكومي وأمضيت فيه قرابة ثمانية أعوام.

خلال تلك الفترة عملت جزئياً في بعض الشركات متعاوناً بالفترة المسائية، أتذكر جيداً بأني كنت أمضي معظم يومي في عمل متواصل.

كانت الطموح والآمال كبيرة وهناك شيء بالنفس يحث على ضرورة اغتنام الفرص إن سنحت والتوجه للعمل الحر، وفقني الله

عز وجل لبناء منزلي الخاص، وكان هذا المشروع من يحمل في طياته الكثير من التغيير على المستوي الشخصي- وأنا لا أعلم، حرصت خلال التخطيط والتنفيذ على تحقيق أعلى معايير الجودة وكنت أحث نفسي على مراعاة أدق التفاصيل، وتحقق هذا الحلم بفضل الله عز وجل أولاً ثم بمشاركة عدد من المهندسين والمقاولين المنفذين، اكتشفت خلال هذه التجربة كثيراً من الخفايا والأسرار الدقيقة التي لا يعلمها كثير من ممارسي هذا العمل الهام جداً، إضافة إلى ضرورة التخطيط وإعطاء العمل لأهل الإختصاص.

تقدم لي أخ فاضل طالباً مني المساعدة وتولي أعمال الإشراف على بناء الفيلا السكنية الخاصة به، بعد إلحاح منه ، وافقت على تولي إدارة مشروع الفيلا، أتذكر جيداً لم أطلب مقابل مادي، بل كان هو المبادر لتحديد مبلغ أعتقد بأنه لم يتجاوز ٢٪ من تكلفة المشروع، علماً بأن تكاليف إدارة المشاريع لا تقل عن ١٠٪ وأكثر، لم تكن الأمور المادية هدفاً، شعرت وقتها بأن الفرصة قد أتت بفضل الله، وعلي أن أعمل بالشكل المثالي، فهذا المنتج هو بداية العمل الحقيقي والجهد المبذول فيه سيعكس النجاح بإذن الله وجودة ما أقدمه من

مخرجات، فقد أكون أو لا أكـون في مجـال الإشراف وإدارة المشـاريع السكنية، وقد تساهم هذه الفرصة في صـناعة مجـال تجـاري يُمكنني العمل به والتخلص من الوظيفة، لذلك نصيحتي الصادقة أن تعرف كيف تقتنص الفرصة حين تطرق بابك!.

خلال مرحلة تنفيذ الفيلا وبعد مضي شـهرين تقريبـاً، طلـب منـي ذلـك الأخ الفاضـل، أن أتـولى إدارة مشروع الفـيلا السـكنية الخاصة بشقيقته، وتم ذلك بفضل الله.

بعد إنهاء مرحلة الهيكل الإنشائي "العظم" بادرني قائلاً أعتذر فما تم تقديمه من عمل يستحق أكثر مما تم الاتفاق عليه، فهـل تـرى أن ٥٪ تكاليف الإشراف مناسبة؟ أيضاً لم أعـترض، فمجـرد إتاحـة الفرصة بحد ذاتهـا هـي المكسـب الحقيقـي ولـيس المـردود المـادي، خاصة وأن هذا المجال الهام جداً يحتاجه كافة أفراد المجتمع، فكم هو جميل أن تتخصص في أحد المجالات التي يحتاجها الوطن ومواطنيـه بشكل كبير، وقليل من يقدم هذا العمل بشكل مثالي.

بفضل الله أنهيت المشروع الأول والثـاني، وبعـد ذلـك بـدأت أباشر مهام الإشراف والإدارة إضافة إلى عملي الوظيفي، وهـذا بـلا شك كان يتطلب جهود كبيرة وعمل متواصـل، حيـث كنـت أقـوم

بجولة صباحية على المشاريع من الساعة السادسة إلى الثامنة صباحاً، وبعد نهاية الدوام الوظيفي، أتوجه لمنزلي لتناول وجبة الغداء ومن ثم الإنطلاق مجدداً لمواصلة زيارة المشاريع وإحضار المواد ومناقشة الملاك والتنسيق بين المقاولين وترتيب سير العمل اليومي وحل بعض الأمور التي تطرأ وهي كثيرة في مجال المقاولات، عملت عامين متواصلة بشكل فردي، تحمَّلت خلال هذه الفترة عائلتي وعلى رأسهم زوجتي ابتعادي عنهم لفترات طويلة، أتذكر جيداً أنه أحياناً قد تمضي الأيام متواصلة لا أجلس فيها مع أبنائي سوى دقائق معدودة في أثناء فترة تناول وجبة الإفطار وقبل توجههم للمدارس.

بفضل الله عز وجل استطعت تكوين رصيد كبير وكم هائل من المعلومات الفنية التي تخفى على كثير من الممارسين لأعمال المقاولات، كنت حريصاً على أخذ المشورة والتوجيه لأي عمل أو مرحلة من أهل الإختصاص كلاً في مجال عمله وبأدق التفاصيل، فكان لهذا الأمر بعد توفيق الله الأثر الكبير في جودة ما أقدمه من عمل خلال تلك الفترة.

كان الحصول على المعلومة الفنية فيما يخص المواد أو طرق التنفيذ أمراً صعباً للغاية وقد يكون شبه مستحيل، خاصة على

مستوى المباني السكنية، وذلك لعدم توفر الجهات المتخصصة على مستوى المباني السكنية، وإن توافرت المعلومة فهي تقدم بأجر مادي في كثير من الأحيان وليس بالمجان.

أحد المشاريع الذي باشرت مهام إدارته كان في حي الربيع شمال مدينة الرياض، واجهتني مشكلة كبيرة، حيث كانت الأرض مغمورة بالمياه الجوفية بارتفاع يصل لأكثر من خمسة أمتار، ومليئة بالطين، بعد حفر الموقع واجهتنا العديد من المشاكل فهذه المياه تغطي الحي كاملاً ويصعب التخلص منها، استشرت كثير من المختصين وأجمعوا بأن الأمر ليس مستحيلاً لكنه صعبٌ للغاية، ونصحوني جميعهم بالإعتذار عن المشروع.

أخذت أفكر بالطريقة المثالية لترتيب مراحل سير العمل واستغرق التخطيط قرابة عشرين يوماً، قمت بالبحث في الإنترنت عن معلومات عن طرق التعامل مع الأراضي المليئة بالمياه وذلك بالمواقع الالكترونية المتخصصة بالبناء، وهي مواقع قليلة أعتقد أنها لا تتجاوز موقعين في ذلك الوقت، ولم أجد المعلومة المطلوبة، توكلت على الله وباشرت أعمال المشروع وكانت الجهود جبارة ولا يمكن وصفها، أتذكر بأني كنت أمضي أكثر من خمسة عشر ساعة

متواصلة في هذا الموقع وأقوم بزيارته حتى في منتصف الليل، حيث توجد مضخات لنزح المياه، ولو قُدر أن تعطلت إحدى هذه المضخات لمدة نصف ساعة، فهذا الوقت اليسير كفيل بضياع مجهود أسبوع كامل، وربما أعادنا إلى نقطة البداية!

عند زيارة المواقع الإلكترونية المتخصصة بالبناء، صُدمت لغياب المعلومة بشكل لا يمكن تصوره، فالأسئلة التي أقرأها ويقوم بطرحها الأعضاء والزوار في تلك المواقع تنم عن حاجة المجتمع بشكل كبير جداً لوجود مصادر للتوعية والتثقيف، حيث أن أغلب من يقدم المعلومة إن وجد يكون في برج عاجي بعيداً عن الواقع أو يقدمها بمصطلح علمي يصعب فهمه على الأفراد العاديين، وفقني الله عز وجل في أحد المواقع الإلكترونية للرد على أكثر من ثمانية آلاف وسبعمائة استشارة خلال عامين فقط وذلك من خلال ممارستي على أرض الواقع لهذه الأعمال ونقلها مباشرة موثقة بالصور لصاحب الحاجة، وساهمت بطرح العديد من المواضيع المدعمة بالصور مع الشرح المبسط والتي من شأنها التعريف بالكثير من أساسيات البناء، سعياً لتوعية وتثقيف المجتمع وأبناء وطني

وكل من يقرأ العربية، بداية الأمر كنت أكتب بمعرف "للبناء فنون" حيث كانت ثقافة المجتمع ذلك الوقت هي الكتابة بأسماء مستعارة، بعد ذلك طلبت تعديل المعرف إلى اسمي الحقيقي. مكتبة

بدأت أفكر في تأليف كتاب متخصص عن البناء، أخذت رأي عدد محدود من الأصدقاء والمقربين، الكل أجمع بأنها فكرة غير مجدية ولن تُلاقي النجاح، حيث أن الكل يجيد البناء في مجتمعنا، ولن يتجاوز هذا العمل أدراج المكتبات، إضافة إلى أنه هدر مادي وجهود في غير مكانها.

طرحت الفكرة وبصوت منخفض على زوجتي، التي رحبت بهذه الفكرة والتوجه الرائع لخدمة وطني، هنا بدأت أخطط لتأليف كتاب يحتوى على المعلومات الفنية التي تساعد كل من يفكر في بناء منزله، كنت أعتقد بأن الكتاب سيكون بحدود ٢٠٠ إلى ٢٥٠ صفحة، ويشتمل على أدق التفاصيل.

بدأت العمل على جمع المعلومات وتوثيق مراحل التنفيذ بالصور الإحترافية من خلال المشاريع التي أقوم بالإشراف عليها شخصياً وبشكل فردي، بحمد الله عز وجل استطعت توثيق وجمع

المادة الخاصة بمرحلة الهيكل الإنشائي "العظم" استغرق هذا الأمر قرابة عام ونصف.

بعد أن أصحبت المادة جاهزة، توجهت للمطابع للبحث عن مطبعة تقوم بتصميم العمل وطباعته، أتذكر تلك اللحظات جيداً فهي لا تنسى أبداً، حيث أفادت المطبعة بأن هذا العمل يقدر بحدود ٦٥٠ صفحة حيث يحتوي على أكثر من ١٥٠٠ صورة، صدمت من عروض الأسعار فالتكاليف باهظة، وستكون على حسابي الخاص، لعدم وجود دعم أو رعاية من أي جهة، برغم سعادتي بإنجاز المادة وجمعها، إلا أني أصبت بردة فعل أحسست حينها بأن العمل قد لا يرى النور، بسبب التكاليف المادية والخوف من عدم النجاح. اتصلت وأخذت المشورة من بعض الأساتذة المجربين في مجال تأليف الكتب والإعلام، الكل أجمع بأن أنسى موضوع الكتاب، فهو للفشل أقرب، فأنا لا أملك القاعدة الذهبية والحضور الإعلامي أو الشهادة الهندسية التي تؤهل عملي للقبول، كان هناك دكتور، اقترح علي فكرة عرض الكتاب على أحد كبار المسئولين في مجال البناء أو الجهات الحكومية لكتابة تقديم للكتاب، فهذا يساعد على كسب ثقة

القراء، لكني شخصياً لم تعجبني الفكرة، فلا زالت أصوات المثبطين ترن في أذني.

لكني عزمت أن تكون التكاليف المادية لطباعة الكتاب من جهدي الخاص، اقترضت مبلغ من البنك ووفرت المبلغ المتبقي من رصيدي الذي أعتقد أنه لم يتبقى منه شيئا يذكر حينها، وبدأت بإعداد التصميم للكتاب وتوقيع عقد الطباعة.

افتتحت مؤسسة خاصة تعنى بمجال المقاولات "للبناء فنون" وهو الاسم الذي بدأت بالكتابة به في المواقع الإلكترونية، أيضاً ولمدة عام كامل كنت أعمل بالمكتب بشكل فردي ولا يوجد معي أي موظف، فكنت أنا المدير والسكرتير والمحاسب وعامل الشاي.

خلال مرحلة طباعة الكتاب، تقدمت بطلب المشاركة في معرض البناء السعودي الدولي ٢٠٠٩م بمدينة الرياض، والذي يعد الحدث الأكبر على مستوى المنطقة، حيث رأيت بأن المعرض هو الوسيلة المناسبة لتدشين الكتاب من خلاله.

بدأت فعاليات المعرض الساعة الرابعة والنصف عصراً، ولسان حالي "أكون أو لا أكون" بدأ الزوار يتوافدون على الجناح الخاص بنا "للبناء فنون" ويتصفحون الكتاب، وكنت خائفاً من مستقبل هذا العمل، بفضل الله عز وجل لاقى الكتاب قبولاً

واستحسان الزوار، وتم بيع عدد جيد يتجاوز ٢٣٠ نسخة خلال فعاليات المعرض.

التقيت حينها بكبار المهندسين المتخصصين في مجال البناء والذين سبقوني في هذا المجال، منهم من أثنى وشدَّ على يدي، وحقيقة أن البعض كان يلومني على تقديم هذا الجهد للمواطن بهذه الطريقة السهلة، وبهذه القيمة حيث كان يطلب مني ويقترح بأن أقدم ما يحتويه الكتاب على شكل استشارات بمبلغ مادي، ولربما أن تكلفة الاستشارة الواحدة قد تصل لمبلغ الكتاب كله.

سعدت كثيراً بما تحقق، من قبول كان مُرضي من الناحية التسويقية، لكن الشعور الأعظم في النفس هو مشاعر ودعوات الزوار وسعادتهم بهذا العمل وأنه يقدم من شاب سعودي وبجهود فردية.

بعد نجاح الكتاب في معرض البناء ٢٠٠٩م ولله الحمد والمنة، تغيرت الإستراتيجية وبدأت التفكير جدياً بالعمل بشكل احترافي، حيث استقدمت للعمل معي محاسب ومهندس مدني، وبالفعل وصلوا وباشروا العمل معي وزاد حجم النشاط.

تزامناً مع طرح الكتاب، بدأت المشروع الأكبر في مسيرة حياتي، وهو التفكير بالإستقالة من العمل الحكومي، كنت أشغل وظيفة جيدة، وأتقاضى راتباً ممتازاً، المجتمع بأسره رفض هذه الفكرة جملة وتفصيلاً، أزعجني كثيراً هذا القرار وبدأت أتردد فيه، وإرضاءً لمن حولي حصلت على إجازة بدون راتب لعدة أشهر، استخرت الله عز وجل، ثم طرحت الفكرة على زوجتي حفظها الله، فكانت عباراتها لي "أثق بإمكانياتك، استخر الله، ثم اعقلها وتوكل".

بفضل الله استقلت من العمل الحكومي، وزاد عدد الكادر الهندسي الذي يعمل معي، كان مكتبي الأول لا يتجاوز ٤٠م٢ عبارة عن محل، ولم أمضي فيه ولله الحمد إلا ستة أشهر فقط، بعد ذلك انتقل مقر المؤسسة إلى مكتب مساحته ١٨٠م٢، ليستوعب عدد الموظفين ويتناسب مع حجم العمل الذي نقدمه.

مطلع العام ١٤٣١هـ تم الاتفاق مع مكتبة جرير لتولي تسويق الكتاب في جميع فروعها، ولاقى الكتاب قبولاً واسعاً ومبيعات ممتازة بفضل الله، من خلال جرير وكذلك إرساله بواسطة البريد إلى جميع المناطق والدول الخليجية والعربية التي لا تتوفر فيها فروع لمكتبة جرير، والآن جميع إصداراتي يتم تسويقها من خلال جرير.

وفي يوم الأربعاء ٥/ ٢/ ١٤٣١هـ انطلقت السلسلة الدورية التي تتناول بالشرح خطوات بناء المساكن، التي أقوم بكتابتها أسبوعياً في جريدة الرياض بعنوان "بيت العمر خطوة بخطوة" والمرجع في ذلك هو كتاب مراحل بناء الفلل السكنية، وقد لاقت هذه السلسلة نجاحاً كبيراً، خلال هذه الفترة بدأت العمل على إعداد الجزء الثاني من كتاب "مراحل بناء الفلل السكنية" وهو استكمالاً للجهد المنشور في الجزء الأول، حيث تناول الجزء الثاني المرحلة الأولى لأعمال تشطيب المباني، وقد ساهم معي في مراجعة المسودة النهائية للكتاب، عدد من المختصين الأكاديميين والمهندسين وكبريات الشركات العاملة في مجال التشطيب.

اشتمل الجزء الثاني على أكثر من ٧٥٠ صفحة وتم تدعيم هذا العمل بأكثر من ١٨٠٠ صورة احترافية مع الشرح المبسط والذي يستهدف كافة شرائح المجتمع.

في الوقت نفسه نفذت الطبعة الأولى من الجزء الأول، وتم ولله الحمد طرح الطبعة الثانية بعد تنقيحها وتزويدها ببعض المعلومات الفنية والصور وذلك لمواكبة ما هو جديد في عالم البناء.

خلال هـذه الفـترة تـم بحمـد الله عـز وجـل تدشـين الموقـع الإلكتروني "للبناء فنـون" عـلى شـبكة الإنترنـت www.llbf.com.sa والذي نقدم من خلاله كل مـا يتعلـق بالبنـاء والتشـييد والـرد عـلى أسئلة واستشارات الأعضـاء والـزوار، وبمشـاركة نخبـة مـن أهـل الاختصاص، حيث يعد الموقع مـن أهـم وأقـوى وسـائل التواصـل والتوجيه الصحيح فـيما يخـص التنفيـذ والأخطـاء وطـرق علاجهـا بالشكل الصحيح، إضافة إلى الأقسام المتعددة بالـديكورات بجميـع فروعها.

لقد قدمت ولله الحمد عدد من البرامج والتقارير التلفزيونيـة، إضافة إلى تقديم برنامج أسبوعي في إذاعة الرياض "البرنامج العام" بعنوان "المستشار المهني" يتناول البرنامج خطوات بناء بيـت العمـر بأدق التفاصيل، إضافة إلى الرد على أسئلة واستشارات المستمعين.

هذه باختصار أهم محطات أحلامي التي رأيتها تتحقق بفضـل الله تعالى ثم ثقتي بذاتي وعدم التوقـف طـويلاً أمـام العقبـات التـي كانت تواجهني.. ولعل أخطـر قـرار كـان الاسـتقالة لكننـي كنـت

مؤمناً في أعماقي أن الناجح يثق برؤيته مهما تعالت أصوات المحبطين من حوله!

فلا تتنازلوا عن أحلامكم وإن اضطررتم إلى قرار الاستقالة!

● وقفـــة :

قارئي العزيز:

- أتؤمن حقاً أن بداخلك قدرات لم تكتشف بعد ؟
- هل تشعر أن هناك أهداف لك طمرتها تحت طين اللامبالاة وتركتها خامدة تحته؟
- هل تود أن تكون متميزاً دوماً كما حلمت ذات يوم؟
- أترغب صدقاً بالتغيير الداخلي؟

إن كانت إجاباتك نعم فابدأ من الآن فالأوان لم يفت بعد!

علمتني الحياة

● علمتني الحياة أن السعادة لا تُعبأ بالزجاجات ولا تُباع بالصيدليات ونواصي الشوارع ولكنها تتدفق من داخلك حيث أنهار الإيمان والرضا وقوة التفاؤل!

● علمتني الحياة أن صانع الخناجر لم يدر بذهنه يوماً أنها قد تغمد بقلب أحدهم وإلا ما صنعها، لذلك فالتفكير بالأمور السيئة يفسد دوماً جمال الأيام التي نعيشها!

● علمتني الحياة أن بعض النكبات مثل غربال كبير يصفي لك الأصدقاء الحقيقيين ويتساقط من ثقوبه الأصدقاء المزيفين..!

● علمتني الحياة أن العثرات هي الخطوة الأولى نحو النجاح!

● علمتني الحياة أن من ينتظرون الشكر من الآخرين هم أكثر الناس إحباطاً!

● علمتني الحياة أن الأبطال لا يتوجَّون استعباطاً قبل أن يقاسوا ألم الطحن والعصر!

اتبع حدسك

● حين بصق الخباز على وجه الأم تريزا وهي تنتظر دورها لتحصل على الرغيف للأيتام مسحت بصقته بكل هدوء وتناولت منه الأرغفة.. يا للحلم والصبر!

● يحتاج كل واحد منا أن يكون وحيدا لبعض الوقت ليتمكن بهدوء من تصفح أوراقه ومراجعة أفعاله وتقييمها فلنمنح أنفسنا هذه الوحدة من وقت لآخر!

● لا تحطم ذاتك بالإيحاءات السلبية ولا تنتظر أحدهم أن يخبرك بتميزك بينما أنت في داخلك تشعر بالفشل والإنهزام فالآخرين يربتون على كتفيك لا على ذاتك!

● قبل أن تتخذ قراراً ما قارن بين سلبياته وإيجابياته واستشر من تثق به ثم توكل على الله وكن شجاعا بما يكفي لتتحمل نتائجه أيًا كانت وإياك والهروب!

● لا تيأس من رحمة الله وإن أذنبت ذنوباً تُثقل قمم الجبال فإن الشيطان يحاول أن يجعلك تيأس ليغرقك أكثر وأكثر في وحل المعصية فارجع لربك فإنه غفورٌ رحيم وكن إيجابياً في نظرتك لذاتك.

● حين تتضايق من المحطمين للهمم فانظر لمرآة سيارتك الجانبي واقرأ إن الأجسام تبدو أصغر مما هي عليه في الواقع وأكمل خططك وتطلعاتك وأهدافك!

● حين حاول عباس بن فرناس الطيران فإنه لم يفكر لحظتها في السقوط ولو تخيل لبرهة واحدة أنه سيسقط لما طار أصلاً فكن متفائلاً دوما ولا تفكر بالأسوأ.

● الرغبة في التغيير تنبع من داخلك أنت ولن يستطيع أمهر المعالجين النفسانيين أن يغير شيئاً من سلوكك وعاداتك أو أفكارك مالم تكن أنت راغباً في ذلك.!.

● إذا قال لك أحدهم أنت لا تستطيع ولكن حدسك يخبرك أنك تستطيع فاتبع حدسك ولا تنتظر أن يأتي أحدهم ويربت عليك قائلا يالك من عبقري!

الأمــل البعيــد..

قد تتعجبون عند قراءتكم قصتي وقد تقولون بأنها ضرب من الخيال ولكن لتعلموا أن كل حرف فيها ينبض بالصدق والحقيقة، فقد نسجتها لكم من خيوط معاناتي.. لتعرفوا فقط أنني ما عانقت اليأس فيها يوما لأني توكلت على ربي سبحانه وفوضت أمري إليه فمنحني قوة الإيمان والأمل التي رَسَتْ بي في النهاية على ميناء السعادة والحقيقة، فاقرءوها لتزرعوا الأمل في ما بعد في جنبات حياتكم ولتطردوا منها كل طائر يأس قد يعشش فيها.

عشت طفولة بائسة أقل ما يقال عنها بأنها كئيبة مظلمة وسط أسرة فقيرة لا تكاد تجد ما تسد به رمقها من الجوع.. لم أعرف طعم الحلوى والسكاكر كباقي الأطفال في طفولتي البائسة تلك ومازلت أذكر كيف أننا كنا ننتظر الأعياد ومناسبات الأفراح لجيراننا وأهل الحارة بفارغ الصبر والترقب لأننا نتذوق من خلالها اللحوم والفواكه التي نحرم منها طوال العام.. كانت أسرتي أسرة مفككة لا يكاد أي فرد فيها يشعر بالآخر فلكل منا عالمه الخاص المغلق عليه

هو فقط، ولا يستطيع أيا كان أن يدخل إليه لا لأن أبوابه موصدة بقوة.. بل لأن أيا منا لم يكن ليهتم بدخول عالم الآخر فكل فرد من أسرتي للأسف كان لديه ما يشغله من أعمال وخصوصيات يخجل قلمي من ذكرها..!

كان أبي يعمل (مستخدما) في أحد المعارض وراتبه البسيط لا يصل بالأسرة الكبيرة إلى نهاية الشهر بأمان.. بل كثيرًا ما تتوقف بنا سفينة الحياة في منتصف الشهر.. هذا على الرغم من بؤس عيشنا وشظف حياتنا!

كان والدي إنسانًا سلبيًا قانعاً من الحياة بعشرة أطفال مشردين في الشوارع أحيانًا لا يعلم عنهم شيئا.. وربما كان لاستخدامه المخدرات في بداية حياته وكثرة دخوله وخروجه من السجن آثارا سلبية جعلته لا مبالي بكل ما حوله.. كنت أشفق عليه أحيانا وأنا أرى نبتة الأمل تخبو في نفسه يوما بعد الآخر كان كثيرا الصمت والشرود لا يحرك ساكنا ولو انهارت الدنيا من حوله.. أو كأنما هو أحس بأن خيوط حياته قد أفلتت من بين يديه فآثر أن لا يركض وراءها فأذعن لها بكل انهزامية واستسلام..

أما والدتي واعذروني إن تحدثت عنها بهذه الطريقة المؤلمة.. فالحقيقة أشد إيلامًا، فقد كانت تتسكع بين بيوت الحارة طوال يومها وكأنها لم تستوعب يوما أنها زوجة وأم عليها واجبات تجاه زوجها وأبنائها وكانت دائما تنظر إلى ما في أيدي الآخرين وتحسدهم على ما أنعم الله به عليهم وتستجديهم وتريق ماء وجهها ليجودوا عليها ببعض الفتات، فكأن أمي وأبي قد اعتبروا أن هذه الأسرة مصيبة حلت عليهم فهم يخشون مواجهتها أو حتى التعايش معها..!

أما إخوتي فحدث ولا حرج فهم يعيشون بين جنبات الشوارع بلا هدف ولا معنى.. وأغلبيتهم انحرفوا عن جادة الصواب والطريق القويم دون أدنى مساءلة من أبي وأمي.. حتى إخوتي البنات لم يقمن وزنا للأخلاق ولا للشرف ولا حتى لنظرة المجتمع من حولهن..! والكارثة العظمى أن إخوتي بمجرد وصولهم إلى الصف الرابع الابتدائي فإنهم يتسربون من مدارسهم بلا سبب سوى ضجرهم وعدم قدرتهم على النهوض صباحاً فيقررون هكذا الانقطاع عن المدرسة دون حسيب أو رقيب والاكتفاء بالتقلب

داخل رحم التخلف والانحراف والتشرد، في ظل شرود أبي وتسكع أمي بين شوارع الحارة. عشت هذه الطفولة الكئيبة وأنا كارهة لوضعي ناقمة على أمي وأبي اللذين تجردا من أشرف وأسمى لقب في الوجود، متشبثة بدراستي بقوة سمكة صغيرة مرتجفة تسبح ضد التيار الذي لا يرحم، وقد كنت من المتفوقات على الرغم من قسوة الظروف من حولي وتفكك أسرتي وانحراف أفرادها بلا استثناء.. وسأحدثكم الآن عن اليوم الذي غير مسار حياتي للأبد وفيه بدأت مأساتي الحقيقية والتي لولا إيماني بالله ورحمته بي لما تجاوزتها.. حين حصلت على شهادة الصف الثالث متوسط وأنا الوحيدة من أسرتي التي وصلت إلى هذا المستوى.. تقدم رجل لخطبتي من أبي وكنت حينها في الخامسة عشرة من عمري أما هو كان في الستين من عمره مصاب بالضغط المرتفع والسكري ومدمن للخمر وتاجر للمخدرات.. مما يدر عليه دخلاً مرتفعا وهذا هو السبب الوحيد الذي جعل لعاب أمي وأبي يسيل ولا يكاد يقاوم الإغراء المادي الذي يتراقص أمامهما بكل بريق ولمعان، ومن دون

تردد وافقا ودون حتى أن يأخذا موافقتي صرخت في وجهيهما.. لا أريده.. أريد أن أكمل دراستي.. زوجوه أختي الكبرى.. ولكن للأسف كان صوتي مجرد صدى يتردد من حولي دون أن يسمعه أحد سواي وكأنما كنت أحادث الفراغ اللامتناهي أمامي وليس والداي فقد أصما عقليهما إلا من نداء المال قبضت أسرتي ثمن البيعة الخاسرة وهي مسرورة على الرغم من علمهم بأنه من مصدر حرام.. وتم زفافي وسط جو كئيب من التعاسة واللامبالاة.. فتخيلوا أن أمي لم تفكر حتى في توجيه أية نصيحة لي تلك الليلة أو حتى إلقاء نظرة على زينتي وماكياجي الذي وضعته أنا على وجهي أو حتى أن تتفقد أغراضي التي أحتاج إليها في بيتي الجديد.. أتعلمون ما أول شيء وضعته في حقيبتي، وضعت دروسي وكُتبي والتي كنت أتعلق بها كما يتعلق الطفل الصغير بثوب والدته خشية ضياعه منها في دروب الحياة الغامضة. ودخلت داري الجديدة، عفوا أقصد سجني وبمجرد أن أغلق الباب وراءه بدأ بافتراسي كما يفترس الذئب ضحيته بكل وحشية ودموية حاولت الهرب منه ولكنه لم يمهلني بل

بدأ بتمزيق فستان زفافي ومعه مزق كل معنى جميل كنت أحاول رسمه لحياتي القادمة.. لقد اغتصبني كما يغتصب المجرم عديم الأخلاق ضحيته في شوارع الليل المظلمة وبين جنبات الخرائب المتهدمة، وبعد أن انتهى من جريمته تناول شرابه الكريه واستلقى على فراشه كثور ضخم متبلد الإحساس دون حتى أن يكلمني أو ينظر إلى وجهي وارتفع صوت شخيره البغيض وهو أشبه بصوت طرق عنيف على أذني..

ولكم أن تتخيلوا فتاة في الخامسة عشر من عمرها في هذا الموقف المروع الذي اغتال آدميتها ونقاءها أخذت أرتجف بألم وأجفف جراحي النازفة وأهدئ من روعي المتصاعد من هذا الوحش الآدمي الذي يرتدي عباءة الزوج.. خمس سنوات مرت من عمري دفعتها كفاتورة قاسية للجشع والطمع اللذين أعميا أبصار أهلي، خمس سنوات من عمري دفعت ثمنها غاليا وذقت فيها كل ألوان العذاب من ضرب بالسياط والنعال - أكرمكم الله - والحبس وحتى الحرمان من الطعام وكأنني خادمة يتيمة في قبضة

سيد اشتراها من ماله فهو يتحكم بها كيف ما يشاء.. كل ذلك لم يقهرني بقدر ما قهرني وجعلني أنزف من الداخل حرماني من الدراسة ورفضه التام لذهابي إلى المدرسة أو حتى لانتسابي وأدائي للاختبار نهاية العام، أصبحت أشبه بهيكل عظمي نتيجة الهم والغم الذي أصابني بسبب حرماني من الدراسة ولكن الله الرزاق الرحيم يشاء أن يهبني أطفالا يشغلونني عن كثرة التفكير بحرماني من الدراسة التي أعشقها إلى درجة لا يتصورها إنسان، أنجبت ولدين وبنتا خلال خمس سنوات فقط وأنا في العشرين من عمري لقد عاهدت نفسي أن أجنب أطفالي جميع ما مررت به في طفولتي من ألم الإهمال وعدم الإحساس بالأبناء.. ولكن أنى لي ذلك وأبوهم إنسان متجرد من شرف الأبوة فبمجرد أن يشرب الخمر ويصبح ثملا فإنه يقوم بضربي وإياهم على أتفه الأسباب.. أتدرون أنني في أغلب الليالي الطويلة كنت أحتضنهم وأنام وإياهم ونحن جالسون خوفا من أن يقوم بقتلنا كما كان يتوعد دائما.. أما حين يكون بحاجة للمخدر ولا يجده فإنه يقوم بتحطيم الأثاث وتكسير الأواني

وطردي مع أطفالي إلى الشارع وكثيرا ما قام جيراننا الطيبون بإيوائنا رحمة وشفقة بنا ولعلكم تتساءلون عن والداي ودورهما في مساعدتي..؟ اسمحوا لي أن أصدمكم بقولي.. أنهما لم يحركا ساكنا تجاه ما يريانه من أحداث مؤلمة تحيط بي. وكاد اليأس أن يتسلل إلى نفسي من هذه الحياة السوداء التعيسة التي أعيشها ولكن قوة إيماني بربي كانت تحول بيني وبين هذا الشبح البغيض.. دعوت الله في تلك الليالي المدلهمة أن يفرج كربي ويزيل عني هذا البلاء الذي تعجز نفسي المرهفة على احتماله! واستجاب الله لدعائي.. ففي ذات يوم سمعت صراخ الجيران من حولنا وهم ينادون علي "يا أم فلان.. زوجك.. زوجك" ركضت أنا وأطفالي مسرعين خرجنا من الدار لنرى ما حدث.. لقد قام زوجي السكير بالعراك مع رجل من زبائنه اختلف وإياه على ثمن قطعة هيروين فتطاعنا بالسكين فطعنه زوجي طعنات قاتلة فمات على الفور..

لقد شاهدت زوجي المجرم وقد تلطخت ملابسه بالدماء وهو يرتجف بين أيدي رجال الشرطة، كما يرتجف الفأر المذعور حين يقع

في المصيدة، كانت شفتاه تميلان إلى اللون الأبيض من هول الموقف، وأطرافه بالكاد تحمله، أما عيناه فكانتا زائغتين ينظر إلى الناس من حوله بذهول أما أنا فلا تسألوني عن مشاعري المضطربة حينها، لا أدري أهي لحظات سعادة، أم شماتة انتظرتها من زمن طويل، أم هي مشاعر ألم هيجتها ذكرياتي المؤلمة، لم أشعر إلا وأنا أردد لا شعوريا، الحمد لله.. الحمد لله، تذكرت تلك الليلة الحزينة ليلة زفافي الأليمة حين وجه طعناته النافذة، واغتصبني بقسوة رجل سكير يحمل بين جنبيه قلبا من صخر لا رحمة فيه ولا شفقة.. تذكرت جراحي النازفة وثيابي الممزقة ، وارتجافي بين يديه بخوف، لم أكن أعلم إلى أين أفر؟ ولم يكن لي مهرب تذكرت دموعي الساخنة في تلك الليلة السوداء، يا إلهي ها هو الزمن يعيد تصويره العجيب إنه اليوم في نفس موقعي بالأمس، يا لها من دنيا عجيبة. وبعد أسبوع فقط من القبض عليه وقبل حتى أن تبدأ محاكمته، أصدرت عدالة السماء حكمها فمات بعد ارتفاع الضغط وإصابته بنزيف دماغي، أتتخيلون البلبل الصغير حين يفتح له باب القفص فجأة فيتردد في الانطلاق ظنا منه أن ذلك

حلم، كنت أنا مثله تمامًا، بصقت على دولاب ملابسه وعلى كؤوس خمره القذرة وعلى سوطه الذي ألهب جسدي وجسد أطفاله من ضرباته المؤلمة بصقت على كل شبر في منزلي سار عليه ودنسه برجليه الكريهتين وجاءت أسرتي تعزيني بوفاته وأنا التي لم أرهم منذ سنتين فكانت أول كلمة قالتها أمي حتى قبل أن تقبلني الله يرحمه.. هل عنده ورث؟! ولولا خوفي من الله لطردتها وطردتهم جميعا، ومن تصاريف رب القدر أن زوجي كان مدينا وحين علمت أسرتي بذلك لم أعد أراهم، فقد خافوا أن أشكل عليهم عبئا إضافيا أنا وأطفالي، شعرت بالألم الممزوج بالقهر، فيا لها من بيعة خاسرة تلك البيعة التي أبرمها أهلي مع ذلك الجلاد.. خمس سنوات من عمري ضاعت وحين كان أهلي يستعدون لجني الأرباح وجدوا أن الأسهم كانت خاسرة.. ففضلوا الهرب بعيدا، جلست أفكر مليا فأنا الآن أمام مفترق الطرق، فأنا أرملة جميلة في العشرين من عمري لدي ثلاثة أطفال، وليس لدي مورد رزق.. ماذا أفعل؟! أمامي طريقين أسلكهما الأول هو طريق الكفاح والصبر.. والأمل البعيد، والثاني:

طريق الكسب السريع حين أبيع أنوثتي للراغبين في امرأة جميلة ووحيدة، اخترت الطريق الأول بلا تردد.. فأهم شيء حصلت عليه من رحلتي المؤلمة أنني أصبحت حرة ليس لهؤلاء عديمي الرحمة والشفقة قيد عليَّ فكان أول ما فعلته أنني بعت آخر قطعة ذهب خبأتها عندي بمبلغ لا بأس به ورحلت عن هذا المنزل الكريه الذي شهد أسوأ ذكرياتي.. وانتقلت أنا وأطفالي إلى مدينة بعيدة وهناك استأجرت غرفة صغيرة بحمامها، واشتريت موقدا صغيرا وسريرا مستعملا ليضمني أنا وأطفالي، وبعض الأواني القديمة المستعملة، أعترف أنها كانت غرفة حقيرة حتى في نظر الفقراء ولكن ما جعلها مثل الحلم بنظري هو أنني وحدي فيها مع أطفالي فأنا التي أحدد مصيري بعد إرادة الله طبعا فلا أحد بعد اليوم سيرسم لي طريق حياتي البائسة.

بدأت أبحث عن عمل شريف أعيش منه أنا وصغاري ولقد سخر الله لي جيران طيبين ساعدوني كثيرا فقد كانوا يتصدقون علينا ببعض الطعام والملابس القديمة وأحسنوا إليَّ فجزاهم الله عني خير

الجزاء ووجدت عملاً حكوميا كمستخدمة في إحدى المدارس الثانوية القريبة من بيتي، ولا أنسى أول راتب قبضته في حياتي، صحيح أنه كان بسيطا ولكن دموعي انهمرت من عيني لحظة تسلمه بكيت كثيرًا وحمدت الله على رزقه وإعانتي على لقمة العيش الشريفة، اشتريت لأطفالي ملابس جديدة وألعابًا وطعاما طيبا ولأول مرة منذ أربعة أشهر أطبخ لحما ودجاجًا لأطفالي، وأشتري لهم بسكويتا وشوكولاته، كنت أرى السعادة تتراقص في أعينهم وهم يتلذذون بما أحضر لهم خاصة حين هجرنا الخوف من ذلك المجرم الذي كان يضربنا في كل لحظة وكأننا كلاب شريرة جاءت تتسول على بابه. مرت سنة كاملة عليَّ وأنا في وظيفتي استطعت خلالها أن أكسب احترام مديرتي وتعاطف المعلمات وحب الطالبات بما منحني الله من تفاني بالعمل وإخلاص، وذات يوم سألت نفسي لم لا أكمل تعليمي الثانوي خاصة أنني في مدرسة ثانوية وعرضت الأمر على مديرتي فشجعتني كثيرا وفعلا قدمت أوراق انتسابي وكانت صدفة أن ابني البكر يدرس في الصف الأول الابتدائي وأنا

في الصف الأول الثانوي، اجتهدت كثيرا في دراستي على الرغم من الأحمال الملقاة على عاتقي كأم وموظفة وطالبة، وفي خلال ثلاث سنوات حصلت على شهادة الثانوية العامة بنسبة سبع وتسعين بالمائة وكانت هذه النسبة مفاجأة لكل من حولي بكيت كثيرا وأنا أرى ثمار جهدي بدأت تنضج.. انتقلت من عملي كمستخدمة وقدمت على وظيفة كاتبة في إحدى الدوائر الحكومية براتب جديد بالإضافة إلى تقديم أوراق انتسابي إلى الجامعة قسم التربية الإسلامية، استأجرت شقة صغيرة مكونة من غرفتين وصالة ومطبخ مستقل وحمام ولأول مرة يدخل التلفزيون إلى بيتنا بعد أن أخذت سلفه من البنك أثثت فيها الشقة أثاثاً جديدًا صحيح أنه كان بسيطاً ولكنه لم يكن مستعملاً وبدأت ارتاح نوعاً ما في حياتي خاصة أن أطفالي جميعهم دخلوا المدارس وأصبحوا من المتفوقين دراسيا وأخلاقياً، اشتريت لأطفالي ما كانت نفوسهم تهفوا إليه من ألعاب رخيصة وملابس بسيطة وحاولت قدر الإمكان أن أعوضهم عن حاجتهم إلى العائلة الكبيرة، فكونت صداقات عميقة مع زميلات وأخوات في الله، كن

نعم العون لي فكنا نـذهب في نزهـات وزيـارات سـوية نـروح عـن أطفالنا والذي كـان يـثلج صـدري ويمنحنـي الصـبر والأمـل هـو نظرات الحب التـي كنـت أراهـا في عيـون أطفـالي وتلـك القـبلات اللذيذة التي كانوا يعطروننـي بهـا بمناسـبة أو بـدونها، مـرت أربـع سنوات عصيبة حصلت فيها على البكـالوريوس بتقـدير امتيـاز مـع مرتبة الشرف الأولى ثم استقلت من عملي ككاتبة وتم تعييني معلمة في مدرسة ثانوية كان ابني الكبير في الثالثـة عشرـة مـن عمـره حـين أصبحت معلمة احتضنني بقوة وهو لا يكـاد يغالـب دموعـه قـائلا "أمي أنا فخـور بـك أنـت أعظـم أم في العـالم" واحتضـنتهم جميعـا وظللنا نبكي بلا شعور لساعات طويلة، ولأول مرة في حياتي أقبض مرتبا ضخمًا، تصدقت بنصفه كشكر لله على نعمه المتواليـة عـليَّ وبـما يسر لي من أسباب الرزق وبنصفه الباقي اشتريت لأطفـالي جميـع مـا يحتاجون إليه وبدأت فيما بعد أدخر جزءًا كبيراً منه لبناء منزل خـاص بنا، وقدمت على الماجستير وحصلت عليها خلال سنتين فقط بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف، وبدأت في بنـاء منزلنـا الكبـير المكـون مـن

طابقين به عشر غرف وصالتين ومطبخ ومستودع وحديقة كبيرة ومسبح جميل وقدمت على الدكتوراة وكان مشوارها صعبا جدا خاصة أن أطفالي بدؤوا يكبرون ويتدرجون في فصولهم فكان الإرهاق يكاد يقتلني أحياناً وأنا أشتت نفسي- بين عملي كمعلمة وبين مذاكرتي للدكتوراة وأبحاثي وبين مذاكرة أولادي وبين الإشراف على البناء والتأثيث والذي كان أثاثًا فخماً ورائعاً، وحصلت خلالها على درجة الدكتوراة وبامتياز أيضاً مع مرتبة الشرف وتم تعييني كأستاذة في الجامعة، وأنا في السابعة والثلاثين من عمري، أتعلمون لحظة تسلمي لشهادتي بمن فكرت؟ لقد فكرت بأمي، ترى لو رأتني في هذا المشهد فهل كانت ستبكي من الفرح، أو أنها ستسألني عن العائد المادي الذي سأجنيه من وراء ذلك؟!

ولكن لا تعتقدوا أني إنسانة عاقة لوالدتي أو أنني لم أحاول صلتها في ما مضى بالعكس لقد ذهبت إليها أكثر من مرة خلال مشوار حياتي فوجدتها كما هي لم تتغير تتسكع بين بيوت الجيران

وتهفو إلى المال دائماً أيا كان مصدره حتى أنها كثيراً لا تسأل شقيقاتي من أين يأتين بالمال بل أهم من ذلك أن يعطينها شيئاً منه.. أما والدي فقد توفي بعد زوجي بسنة واحدة، اقتطعت جزءاً من مرتبي شهرياً وكنت أرسله لها بانتظام إلى أن توفاها الله بعد ذلك.. أما إخوتي وأخواتي فلم يكن يشرفني التعرف إليهم أو تواجدهم في حياتي فابتعدت عنهم من أجل أبنائي ابتسمت الحياة لي بعد عبوس طويل فها انأ الآن لي مركزي الاجتماعي وأعيش في بيت فخم وعندي الخدم والسائقين وأبنائي جميعهم قد تخرجوا من جامعاتهم العلمية فابني الكبير أصبح طبيباً جراحاً والآخر مهندساً معمارياً والصغرى طبيبة أطفال وقد زوجتهم جميعا وأصر ابني الكبير أن يعيش هو وزوجته معي فملؤوا عليَّ البيت بالحياة وضحكات الأحفاد وها أنا الآن في الخامسة والخمسين من عمري مازلت أحتفظ بمسحة من جمالي برغم جميع الظروف التي مررت بها.

قصتي هذه أهديها إلى كل يائس ومحبط لعل بها من بصيص الأمل ما يبدد لحظات اليأس في حياته!

وصدقوني لو استسلمت لليأس ولحظاته المريرة لما وصلت إلى هذه الحياة التي أعيشها الآن بفضل الله سبحانه وتعالى ثم بفضل تمسكي بالأمل رغم كل الخطوب من حولي.

● اليأس قاتل حين يشرع له أبوابنا كضيف ثقيل لا يبالي بمشاعر الآخرين.. فيا أيها اليائس إياك أن تفتح له بابك وإن ادلهمت من حولك الصعاب..! فصدقوني ومن تجربة خضتها واستطعت النجاح فيها ليس هناك أجمل من التفاؤل والتشبث بالأمل حتى وإن كان صغيرًا.. والأهم هو عدم اليأس من رحمة الله..

قصة واقعية عايشت زميلتي أحداثها وعبرت عنها بأسلوبي.

قُـل لا

● قل (لا) لكل من إذا سامرته بالشعر الرقيـق أورد لـك مـن أشعار الفراق والهجر والحزن والرثاء ما يضيق به صدرك وتتحشرج به أنفاسك!

● قل (لا) لكل من يبث روح الإنهزام في الأمة ويفـرح حـين يرى الشتات بالوطن ويعمل بصمت ليقوض الإطمئنـان بالصـدور فتراه يحيك الشائعة ويطرزها وينشرها ويتفـرج عليهـا وهـي تفتـك بالآخرين!

● قل (لا) لكل من لا يـرى مـن الـورود إلا أشـواكها، ومـن السماء إلا شُهبها، ومن الأرض إلا وحلها، ابتعد عنه وفر منه فـرارك من الأسد!

● قل (لا) لكل شخص يضيع وقته في صُنع قارب خوفـاً مـن "تسونامي" يحل بأرضه رغم أنه يعـيش في الصـحراء والبحـر يبعـد عنه آلاف الأميال، كفانا تشاؤماً!

● قل (لا) لكل شخص متذمّر كثير التَّشكي رغم أنعم الله التي يرفل بها من زوجة ومنزل وذرية وصحة ووظيفة، فهذا لم يشكر ربه فهل تتوقع أن يشكرك يوماً؟!

● قل (لا) لكل من يحاول تقويض ثقتك بنفسك وزرع الدونية فيها!

● قل (لا) لكل من يدعوك للتسول رغم أنه يدرك كم من أدوات نجاحٍ أنت تملكُها!

● قل (لا) لكل شخص يحاول سحبك نحو الماضي الحزين والذكريات السوداوية والعثرات المؤلمة!

سنابل القمح لا تنكسر!

تزوجت وأنا في الرابعة عشر من عمري؛ وما زلت طالبة في المرحلة المتوسطة، وأكملت دراستي إلى ثاني ثانوي ثم ثالث ثانوي أكملته في أمريكا حيث زوجي كان مبتعثاً للدراسة، ثم التحقت بالجامعة هناك وتخصصت في علم النفس، ورزقت بثلاث بنات، كانت حياتنا في منتهى السعادة ولكنها كانت قصيرة فقد توفي زوجي فجأة بسكتة قلبية وعمره لم يتجاوز ٣٤سنة لم يكن مريضاً بل كان طالباً في سنته الجامعية الأخيرة، وهنا بدأت مأساتي فكنت أيضاً في نهاية الجامعة وأرملة صغيرة ما زلت في الواحدة والعشرين من عمري. رفض الملحق الثقافي أن أُكمل الدراسة، ورجعت بلوعة الحزن والخسارة، بعد سنة ونصف من الحزن الشديد استلفت مبلغاً متواضعاً للدراسة على حسابي وسافرت بعد سلسلة عذاب تجرعت مرارته من عم بناتي الذي أخذ أموالنا واحتكر أراضي كانت مُلكاً لزوجي رحمه الله نكالاً بي لرفضي الزواج منه وكأنه يظن أنه ورثني مع أموال أخيه، سافرت مع بناتي دون علمه وبمساعدة والدي وأقربائي وأكملت دراستي وانضممت إلى البعثة نظراً لتفوقي

ووجود قريب لي مبتعث ،حصلت على درجة الماجستير، وبعض ساعات من الدكتوراه ثم عدت للديار تحملني رغبتي الملحة لخدمة وطني وخاصة في مجال ذوي الإحتياجات الخاصة حيث تخصصي- في الماجستير وعملت عام ١٩٨٣م في المنطقة الشرقية ولم يكن فيها سوى معهد واحد وهو التربية الفكرية ،عملت معلمة فيه وبعد سنة مشرفة تربوية ثم مديرة لمعهد الأمل للصم في الأحساء ثم مديرة لمعهد الأمل بالدمام وبعدها فتحنا إدارة للتربية الخاصة في الشرقية وقمت بتأسيس وتفعيل برامج الدمج لذوي الإحتياجات في مدارس التعليم العام وبرامج صعوبات التعلم في جميع أنحاء الشرقية وكذلك برامج رعاية الموهوبات ، وكنت أيضا عضوة في جمعيات خيرية واجتماعية وثقافية ، كافحت كثيرا وواجهت صراعات وتحديات في العمل كوني لا أسمح بالأخطاء أو التأخير في المعاملات ، ويهمني سرعة الإنجاز والنزاهة والعدل، أثناء عملي أكملت الدكتوراه عن طريق الدراسة في فصل الصيف في بريطانيا وأخذت مني زمنا طويلا ،وقد حاولت طلب الإبتعاث وكان مستحيلا لعدم توفر محرم رغم أن تخصصي نادرا والبلد بحاجة إليه، حصلت على الدكتوراه من بريطانيا في مجال الموهوبين ، وقد رفضت

الزواج لعدة أسباب : أولا لن أجد مثل صفات زوجي الراحل فقد كان على خلق كريم وإنسان بمعنى الكلمة وعزة نفس وشهامة وفكر نادر، وقد أحبني بكل جوارحه وفداني بنفسه في مواقف عدة ، فلم يكن أمامي سوى الوفاء له ، السبب الآخر التفرغ لتربية بناتي، والحمد لله بناتي كبرن وتخرجن ، الكبرى مديرة مدرسة رغم صغر سنها ، ومصممة أزياء، وفنانة رسم، والثانية تعمل في المختبرات وتحضر للدكتوراه في هندسة الأنسجة في بريطانيا وفنانة في الرسم والإستنسل وكاتبة روايات وشعر، والصغرى مهندسة تعمل في أرامكو ومصممة ديكور وأزياء، لقد عوضني الله في بنات موهوبات وأعمل في مجال إنساني واجتماعي أعشقه، ماذا أريد بعد ذلك؟ وعجلة الوقت والهمة لم تتوقف عندي فقد أنشأت مؤخرا برنامج حي ثقافي وتدريبي لخدمة الأطفال الموهوبين والعاديين وتدخل مبكر لعلاج صعوبات التعلم كما أنني شاعرة وكاتبة ومعدة برامج إذاعية ومصممة برامج إثرائية للموهوبين.

وقد كنت أول من أسس برامج دمج ذوي الاحتياجات الخاصة في المنطقة الشرقية وكذلك برامج رعاية الموهوبات. هذه

حكايتي باختصار شديد ابتعدت بها عن تلك التفاصيل التي تثير الألم وتعيد رسم معالم الأسى، صراع مدمر كاد أن يوقفني في بداياتي وضغوطات هائلة كانت تُمارس عليّ لأني أرملة صغيرة وأم لفتيات، لم ينظروا إلى أحلامي ولم يهتموا بأهدافي، لكن من فضل الله وقف أهلي بجواري وساندوني لأنهم كانوا يدركون في أعماقهم أني أستحق هذه الثقة.

● لذا أهمس في أذن كل طموح يعاني الآن من ضغوط ما، أن لا يستسلم لها وأن لا يخيفه ضجيج البدايات ولا أصداء تلك الأصوات المرعبة وأن لا يتوقف أمامها رافعاً راية انهزامه بل عليه أن يكافح ويثق بذاته فروعة النهاية وجمالها تستحق أن نحارب من أجلها..!

اهــرب منهــم

● هناك بعض الناس إذا جلست معهــم فسيصــورون لـك أن الناس ذئاب والحيـاة كئيبـة والوفـاء معـدوم والحـرب العالميـة عـلى الأبواب فاهرب منهم ولا تنظر خلفك!

● لا تـدع الآخـرين يصـدرون القـرارات في حياتـك وأنـت تتفرج بعيدا وكأن الأمر لا يعنيك هناك فـرق بـين الحيـاء والإنهـزام فكن شجاعاً وقل لا حين يتطلب الأمر.!

● قبل أن تتخذ أي قـرار في حياتـك ادرسـه جيـداً مـن جميـع جوانبه قارن بين سلبياته وايجابياته وتخيل نفسك قبـل تطبيقـه وبعـد تطبيقه ومدى أهميته في حياتـك واستشر مـن تثـق بـه مـن العقـلاء وأصحاب الرأي السديد وابتعد عن الخبرات السيئة ولا تحكـم مـن خلالها، وبعد اتخاذه تحمل جميع نتائجه الإيجابية منها والسلبية فهكـذا تزرع في نفسك الشجاعة لمواجهة قراراتك أيا كان نوعها ولا تشـغل نفسك بالتبريرات الواهية حتى تسلم من انتقاد الآخرين لك فـذلك سيعيق انطلاقك لتحقيق أهداف قرارك!.

● روعة الحياة أنها مثل زهرة جميلة حتى نستنشق عطرها لابد وأن نتحمل شوكها.

● من يولدون وفي أفواههم ملاعق من ذهب لا يستشعرون لذة الكفاح والتعب وجمال المعاناة!

فلا تطيلوا النظر إليهم وتتحسروا على أوضاعكم وتتذمروا من ظروفكم من يدري ربما كانوا يغبطونكم على بساطة العيش والإحساس بجمال الأشياء حين تتواجد في حياتكم بعد جهد كبير!

● السعادة ليست مال بل هي إحساس برضا الخالق عليك وقربك منه وامتنانك لكل ما أنت فيه من نعم!

لا تنتظر الشكر من أحد !

كان لدي مجمع مكون من مطعم وسوبر ماركت وشقق عزاب ومركز صيانة سيارات ومحلات أخرى على مدخل المدينة الشرقي على طريق الكويت، وفي ظهيرة يوم حزين كنت قادماً للمجمع فرأيت الناس والسيارات بكثرة هائلة أمام الإستراحة فذهبت وسألت بعض المتواجدين فقالوا قدمنا من دولة الكويت وذلك بسبب اجتياح العراق لدولتنا الحبيبة فأمرت عمال المطعم بأن يقدموا وجبة الغداء مجاناً دون استثناء ويزيدوا من الوجبات المطبوخة تحسباً لتجمع أكثر وقمت بتسكين ما يقارب ١٢ عائلة في الدور الثاني للشقق، في اليوم الثاني بدأت تقف سيارات عسكرية للجيش الكويتي أمام المجمع ثم سألتهم من أين أنتم فقالوا نحن لواء ٣٥ متواجدون في منطقه اسمها الجبو داخل المملكة العربية السعودية جنوب منفذ الرقعي المنفذ الحدودي مع دولة الكويت ، لما علمت بمكان تواجد الجيش الكويتي أخذت سيارتي وقمت بتحميلها بجميع ما يلزم من مواد غذائية ومعدات الرحلات البرية ومن

ضمنها كان خيط ومخيط وإبر وأسلاك خياطة وذلك لحاجة البر واتجهت إليهم لمنطقة الجبو الحدودية، وعندما وصلت إليهم التقيت بمجموعة من أفراد وضباط قلت لهم معي هدية متواضعة أرجو أن تتقبلوها مني وهي عبارة عن مواد غذائية ومستلزمات برية فرحبوا بي وتقبلوا ما جئت به بكل سرور وفرحوا جداً بزيارتي لهم ثم قلت لهم يوجد لدي شقق مهداة مني لكم أثناء الأزمة وهي لضباط وأفراد الجيش الكويتي لكي يغتسلوا ويرتاحوا ويناموا فيها براحة تامة مع توفر جميع الخدمات فيها وقبلوا الهدية أيضاً بكل شكر .

وفي اليوم الثالث كانت لديَّ سيارة من نوع مرسيدس صغيرة الحجم ذهبت بها إلى الكويت فقد كان أخي عسكرياً في الكويت في الحرس الأميري وكان لابد من مساعدته هو وأسرته وأطفاله للخروج بهم من دولة الكويت، وعند وصولي إلى المنفذ الحدودي رفضت الجوازات السعودية دخولي لدولة الكويت وقمت بشرح ظروفي بأن أخي ومحارمه هناك ويجب علي الدخول وبالفعل قمت بالدخول والتقيت ببعض القوات العراقية على الطريق ولم يعترضني أحداً منهم فوصلت ودخلت بيت أخي ولم أجده هو وأبناءه

فذهبت إلى بيت قريب أخي فوجدتهم جميعاً هناك عدا أخي الذي وصل بعد مجيئي بزمن بسيط فقال لي منذ البارحة وأنا أحاول الوصول إلى أبنائي وبيتي ولم أستطع إلا بعد جهد جهيد ثم قمت بإركاب جميع الأشخاص المتواجدين في البيت بسيارتي وسيارة أخي وجميعهم من الأطفال والنساء الذين كان آباؤهم يدافعون عن دولتهم، ثم اتجهنا إلى السعودية وعندما وصلنا منفذ الجمارك السعودية نزلنا للتفتيش وعند الإنتهاء قمنا بالركوب في السيارتين مرة أخرى، وبعد الوصول قمت بتسكينهم في منزلي لحين وصول آبائهم العسكريين في الكويت وفي ذلك الوقت كانت لدي عمارة دورين مؤجرة مدرسة سكن فيها أكثر من ٨ عوائل وأيضاً كان لديَّ بيت شعبي مقابل بيتي سكن فيه أخي وعائلته ثم وصلت عائلة ابن خالي وأسكنته في بيت آخر ووصل الكثير من عوائل أقاربي وقمت بتسكين من استطعت منهم وكان هناك عائلتين من أقاربي أُسِر آبائهم لدى الجيش العراقي ولم يكن لديَّ سكن أوفره لهم وقمت ببناء شقتين بدون أساسات فقط أسمنت وطابوق وسقف حديد خلال ٢٨ يوماً فقط وما زالت قائمة إلى اليوم، ثم وصلت عائلة أخرى وقمت بتسكينهم مع زوجتي الأولى وعائلة أخرى مع

زوجتي الثانية ومجموعات أخرى من الأسر الكويتية سكنوا في شقق أخرى من أملاكي الخاصة والأهم من ذلك أن جميع العوائل الكويتية كانت تأخذ المعونة من جمعية البر الخيرية بحفر الباطن بأمر من حكومتنا الرشيدة حفظها الله وكانوا حريصين على متابعتهم بفترة الغداء والعشاء وصرفوا لهم الأغطية والفرش وجميع ما تحتاجه إعاشة العائلة ، وقد كانت توجد سيارات كويتية يستغلها الأجانب في الكويت خرجوا بها للذهاب إلى دولهم وتم منعهم وإرجاع السيارات الكويتية إلى حفر الباطن وقام الجيش الكويتي بحفر الباطن باستلامها ثم جاء إليَّ بعض الضباط الكويتيين للتفاوض معي على أسعار صبغ السيارات الكويتية المدنية إلى اللون الجيشي العسكري والتي كان عددها يفوق ال ١٤٠ سيارة فقلت لهم احضروا لي مادة الصبغ وأنا أقوم بتحويلها من اللون المدني إلى العسكري بالمجان ودون مقابل ولا ثمن وبالفعل أحضروا لي ذلك وأمرت العمالة لدي بسرعة انجازها وتم إنجاز العمل وشكروني جزيل الشكر.

● تأمل قصة هذا الرجل يا من أوشكت أن ترفع راية استسلامك في معركة الحياة واسأل نفسك بصدق هل تمتلك مثل

شجاعته وجرأته.. لقد وضع له هدفاً لإنقاذ أخيه وأهله من الحرب.. ورغم القنابل والدبابات والمخاطر لم يتراجع وينهزم بل أصبح أكثر تصميماً وعزماً وفعلاً تم له ما أراد، وتأمل رغبته في إسكان تلك الأسرتين كيف جعلته يبني شقتين في زمن لا يتجاوز شهراً..!

● إذن.. انهض وكن إيجابياً مثله وتحلى بشجاعته وكن مُصراً على إنقاذ أهدافك من حرب الإنهزام والسلبية وانتصر بقوة، ولا تقل أنا عملت واجتهدت ولم يقدرني أحد، فكثير من العظماء لم يعملوا من أجل أن يشكرهم الآخرون ويثنوا على إنجازاتهم بل لأن أعمالهم تشعرهم بأهمية وجودهم في الحياة.!

قصة هذا الرجل ستمنح الإلهام لكل محبط متعثر في طريق الفشل وتقول له بأن الحياة تستحق أن نعيشها بكافة تعرجاتها وأحوالها ومواقفها.. وبأن معايشة الصعاب فيها بروح المبادرة والعطاء سيعطيها بعداً أعمق وأجمل وأروع فكل أحداث الحرب السوداوية في تلك الفترة قد أصبحت مجرد ذكرى، لكن أفعال هذا الرجل ستظل عطراً يفوح أريجه حين يتذكره من وقف معهم، لا تنتظر الشكر من أحد حتى لا يصيبك الإحباط وتتوقف عن العطاء.. وأطلب الأجر من ربك دوماً وأشكره لأنه منحك القدرة على العطاء والبذل.

البحار مالحة

- التركيز على الأمور السلبية بشكل دائم يصيب الإنسان بالإحباط والاكتئاب وقلة الرغبة في الإنتاجية دون أن يقدم حلولاً جذرية متى سندرك أن هناك جوانب مشرقة مبهجة في هذه الحياة فالبحار المالحة تحتل سبعين بالمائة من الكرة الأرضية ورغم ذلك لم نشكو يوما من ملوحتها بل إننا نهرع إليها لنستمتع بأمواجها وشواطئها وصفائها.. فمتى سنتعامل مع أمورنا السلبية بإيجابية كما نتعامل مع البحار المالحة!

- احتفل بإنجازاتك اليومية الصغيرة ولحظات نجاحك البسيطة وردد بصوت واضح أنا أُؤمن بنجاحي واكتب أهدافك وعلقها بمكانٍ واضح أمامك لأن الأهداف إن لم تكتبها وتراها يومياً فستهملها بمرور الوقت وبالتالي لن تهتم بتحقيقها!

الحياة لا تنتظر أحداً

في وسط حي شعبي فقير يعيش معظم ساكنيه تحت خط الفقر ولدت ونشأت وترعرعت، كنت الإبن الأكبر لأسرة مكونة من أب وأم وخمسة إخوة لم تكن تعرف من رفاهية الحياة سوى ما يجود به عليها المتصدقين من أرطال قليلة من اللحم في عيد الأضحى، لم نعرف أنا وإخوتي الشيكولاتة والعصائر والوجبات الخفيفة فقد كانت ضرباً من المستحيل بالنسبة لنا والمرة الوحيدة التي تذوقتها فيها كانت حين ضربني زميلي في المدرسة وسال الدم من وجهي وحتى لا أُخبر المدير أغراني بقطعة كاكاو كاملة فخطفتها من يده وأنا أمسح قطرات دمي باليد الأخرى، يومها خبأتها في جيبي ووضعت يدي فوقها بقوة حتى لا تسقط منه فقد كان مثقوباً وحين دخلت المنزل ناديت إخوتي الصغار واقتسمتها معهم، وكم شعرنا بالسعادة يومها، نسيت أن أخبركم بعمل أبي لقد كان يعمل زبالاً.. وكثيراً ما كان أولاد الحي حين أتشاجر معهم يعايروني بوالدي فيقولون (يا ابن الزبال) كان والدي في نظري أعظم إنسان في

الوجود فقد كان كريم نفس لا يقبل أن يمد يده للآخرين مهما كانت شدة حاجته، لقد ربانا على الجد والإجتهاد ومتابعتنا في دروسنا وكان يحثنا دوماً على الصلاة ويقول لنا ناصحاً: (إياكم أن تمدوا أيديكم إلى الآخرين فإن أعطوكم منّوا عليكم وإن منعوكم شعرتم بالذلة في داخلكم) كان الرَّاتب البسيط الذي يتقاضاه بالكاد يكفينا أن نعيش حياتنا كفافاً إذا اتفقنا أن الحياة بصحبة الفقر تُسمى حياةً، كانت والدتي تساعد والدي على نفقات الحياة فقد كانت تخيط بعض الملابس البسيطة لصغيرات الحي أو ترتق ثقوب ملابس بالية لهم وبفتات المال الذي يدفعونه كانت تذهب إلى سوق الملابس المستعملة لتشتري لنا منه ملابسنا الرثة، سارت بنا الحياة وسرنا معها إلى أن رحل أبي فجأة فقد صدمته سيارة مسرعة لم يتمكن أحد من معرفة صاحبها وقيدت الحادثة ضد مجهول ومازالت كذلك إلى يومنا هذا، وقف الجيران بجانبنا في فترة العزاء ثم بعد ذلك انفضَّ الجميع ولم نعد نرى أحداً منهم وأنا لا ألومهم فقد كان الفقر يفتك بهم مثلنا، كنت في الخامسة عشر حين رحل والدي ، يرحمه الله، كنت أصحو ليلاً فأجد والدتي تبكي بصمت وهي تخيط ثياب لا تعود

عليها إلا بفتات بسيط، كان ظهرها المنحني على ماكينة الخياطة يشعرني بعجزي وقلة حيلتي، قد تتساءلون عن راتب والدي فأقول لكم بعد تسويته بطريقة معينة لم يتبق لنا منه إلا عشرة دولاراتٌ أتصدقون ذلك عائلة مكونة من ستة أشخاص وهذا الراتب الضئيل ترى أي مأساة تنتظرنا؟! بعد شهر من رحيل والدي كانت الحياة تضيق بنا أكثر وأكثر إلى تلك الدرجة التي اضطرت فيها والدتي إلى حذف وجبة العشاء والإكتفاء بوجبتين يومياً والإستعاضة عن إنارة الكهرباء بسراج كيروسين كانت تُشعله حين يحتدم الظلام حتى نقتصد في فاتورة الكهرباء، كما أصبحت تشتري أكياس طحين كبيرة وتقوم بصنع الخبز بالمنزل حتى تُوفر ثمن الأرغفة التي كنا نشتريها من الخباز، أما ملابس إخوتي فقد كانت ترقع فيها ثقباً تلو الثقب بلا فائدة، تأزَّمت الأمور تماماً حتى كدنا نختنق من ضيق العيش فقررت أن أبحث عن عمل لكن والدتي رفضت أن أترك دراستي مهما كان الأمر فوعدتها أني لن أفعل ذلك اتكلت على الله تعالى وبدأت في البحث المضني عن عمل حيث كنت أخرج من مدرستي ظهراً وأتناول غدائي والذي كان عبارة عن أرز جاف وكأس ماء ثم

أسير إلى أطراف المدينة على قدميَّ، وهناك أبحث عن إعلانات ملصقة على المحلات والمعارض والمكاتب ولكنهم كانوا يرفضون توظيفي بسبب سني الصغير، استمرَّيت لمدة شهر كامل على هذه الحال حتى كدت أيأس تماماً، ومازلت أذكر جيداً ذلك اليوم حين جلست خائر القوى ومحطماً تماماً بناحية سوق الخضار حين اقترب مني طفل صغير متسائلاً: أتريدني أن أحمل لك بضاعتك؟! ومثل الشرارة حين تقدح في ظلام الليل البهيم قدحت هذه الفكرة في رأسي وتساءلت (لماذا لا أعمل حمالاً؟) سبحان الله حين يتكل الإنسان على ربه ويأخذ بالأسباب فإن هناك إشارات معينة ستُرشده إلى الطريق الصحيح الذي يبحث عنه فانتبهوا جيداً لهذه الإشارات نهضت بسرعة وغسلت وجهي بماء بارد من إحدى البرادات المتهالكة في سوق الخضار وعدلت هندامي الكئيب وأصبحت ألاحق الزبائن أتريدني أن أحمل لك بضاعتك؟ توالى الرفض من الزبون الأول والثاني والثالث لكن الرابع وافق، شعرت بنشوة الإنتصار، في نهاية المساء كنت قد جمعت ما قيمته دولارين.. يا لسعادة أمي حين تعلم بذلك حين رجعت للمنزل وجدتها منحنية

على ماكينة خياطتها القديمة قبلت رأسها ووضعت النقود في يدها واحتضنتني وهي تبكي بسعادة ظللت سنة كاملة على هذه الحال أخرج من مدرستي ظهراً وأسير على قدميَّ ثلاثة كيلومترات لأطراف المدينة لأعمل حمالاً إلى ساعة متأخرة ثم أعود إلى منزلي منهك القوى وجسداً يكاد يكون محنطاً من الإرهاق وحين رأى أحد أصحاب محلات الخضار جدي واجتهادي عرض عليَّ أن أعمل عنده بائع بمحل الخضار الخاص به، براتب خمسين دولاراً شهرياً لم أصدق وكاد أن يغمى عليَّ من الفرح ولكني تمالكت نفسي رغم أنِّي تمنيت لحظتها لو نبت لي جناحين لأحلق بهما سريعاً نحو أمي وأزف لها هذا الخبر الجميل، ليتكم رأيتم قسمات وجهها الطاهر حين أخبرتها يا الله أذكر كيف أنها سجدت لله شكراً ثم ضمتني إليها بقوة قائلة: (يا ولدي سيعطيك ربي حتى يرضيك فأنت بار بي رغم أني أعلم أني وأخوتك نثقل عليك وتتحمل من أجلنا الشيء الكثير) واستمررت بالعمل لدى صاحب العمل لثلاث سنوات متواصلة أثبت فيها كفاءتي وأمانتي ومن فضل الله تعالى كان راتبي يزيد باستمرار خاصة حين بدأ التجار المجاورين يحاولون أن يغروني

بالعمل لديهم بعد أن رأوا قدرتي على تسويق الخضار ومهارتي في كسب الزبائن من فضل الله، لكني كنت وفياً للرجل الذي وثق بي منذ البداية أنهيت دراستي الثانوية بتفوق وقررت الدخول في الجامعة وكنت خلال السنوات الماضية قد ادخرت مبلغاً لا بأس به قررت بعدها أن أبدأ به مشروعي الخاص الصغير الذي كان عبارة عن محل خضار صغير في قرية مجاورة لقريتي لم يكن يوجد بها مثل هذه المحلات اشتريت دراجة مستعملة لأتنقل بها ذهاباً وإياباً من وإلى البيت ومن فضل الله استأجرت المحل وصبغته بنفسي وغسلته وقمت بتنظيفه وتركيب رفوفه البسيطة بمجهودي الذَّاتي وبدأت في التعامل المباشر مع المزارعين وهذا ما كان يجعل بضاعتي متميزة حيث كانت تصل مباشرة من المزرعة للمحل، كنت أذهب للجامعة صباحاً وأحضر المحاضرات كاملة ثم أعود للمنزل وأتناول غدائي مع أمي وإخوتي ثم أقود دراجتي إلى محلي المتواضع أُعاين الخضار القديمة وأعزلها وأبدأ في استقبال الخضار الجديدة كان شعاري الصدق والأمانة وذلك ما ساهم في نجاح مشروعي من فضل الله تعالى ولا أنسى دعاء أمي الحبيبة، أيضاً أذكر أني وظفت عاملاً

لتوصيل الطلبات إلى المنازل وكانت هذه الفكرة وقتها غريبة بعض الشيء لكنها كانت ذات صدى مدهش!! بدأت الأرباح تتزايد ففكرت في توسيع المحل فاستأجرت المحل المجاور وفتحتهما على بعضهما واستوردت بعض الفواكه من المزارع البعيدة، مازلت أتذكر أوقات الإختبارات النهائية في الجامعة كيف أنِّي كنت أحياناً أغفو قليلاً فوق ورقة الإختبار ولو لم يكن المراقب ينبهني فلربما من شدة الإرهاق ذهبت في نوم عميق، ومازلت أذكر ذلك اليوم الممطر حين سقطت من دراجتي وأصيبت ركبتي وابتلت ملابسي تماماً ورغم ذلك ذهبت لمحلي وأنا أرتجف من البرد طوال ذلك المساء وعدت إلى البيت وأنا مريض وحرارتي مرتفعة، ومازلت أذكر كيف كنت أقوم بالأعمال جميعها من تنظيف المحل وترتيبه وجرد الخضار وبيعها وشراءها من المزارعين بعد أربع سنوات من بداية عملي الخاص تخرجت من الجامعة بتقدير امتياز وقررت أن لا أقدم على وظيفة حكومية فقد كانت أرباحي تفوق أضعاف راتب موظف كبير، افتتحت محل خضار صغير في قرية أخرى ووظفت به عاملاً وكنت حريصاً أن يتصف بالأمانة والصدق فقد كان ذلك شعاري في

التجارة وبعد ذلك بثلاث سنوات افتتحت محلاً أخر من فضل الله تعالى وبعدها همست لنفسي بأن الوقت قد حان لشراء شقة تمليك لأسرتي.. والحمد لله وفقني الله واشتريتها في حي راقي وبأقساط مريحة جداً.. وكم كانت سعادتهم عارمة حين دخلوها لأول مرة وشاهدوا أثاثها المرتب وغرفها الواسعة وموقعها الرائع.. كان الفرق شاسعاً بينها وبين منزلنا القديم والذي كان يسمى مجازاً منزلاً، ثم قررت أن أفتتح محل خضار رئيسي في المدينة وكان ذلك مكلفاً ويحتاج لمجازفة كبيرة لكني لم أفكر في الخسارة لأن الإنسان بمجرد أن يفكر بهذه الطريقة فسيشعر بالإنهزامية في داخله ولربما سيطر عليه التردد والإحباط فأحجم عن تطبيق أحلامه على أرض الواقع، استلفت مبلغاً كبيراً من البنك، ووقّعت على شيكات لسداد المبلغ خلال خمس سنوات ثم قمت باستئجار محل كبير جداً للخضار والفواكه ولربما لا أكون مبالغاً إذا قلت بأنه كان أكبر محل خضار في المنطقة اهتممت بكل التفاصيل من ناحية الديكور والإعلان وترتيب الخضار والفواكه بشكل متميز وقمت بتوظيف أربعة عمال ووضعت خدمة التوصيل المجاني والأهم من كل ذلك

الصدق والأمانة وهما الشعار الذي حافظت عليه ومازلت من فضل الله تعالى، بعد سنة واحدة وبفضل توفيق الله ثم دعاء والدتي والإجتهاد والعمل المتواصل وكسب ثقة العملاء استطعت أن أسدد كامل أقساط دين البنك.. وازدهرت تجارتي وافتتحت عشرة فروع لمحلي الرئيسي خلال السنوات التالية..!

بعد أربعين عاماً من رحيل والدي رحمه الله أصبحت الآن مليونيراً وأمتلك عشرات المحال التجارية.. وإخواني جميعهم تخرجوا من الجامعات وتزوجوا وأمي في الثمانين من عمرها وتتمتع بصحة جيدة وأصررت عليها أن تعيش معي بعد زواجي فهي البركة ونور البيت بأكمله.

● رسالتي لكل من قرأ قصتي أن لا يقتل أحلامه لأنه مجرد إنسان فقير فمعظم الناجحين لم يؤمن بهم أحد وكانوا فقراء لكنهم كانوا مؤمنين بأنفسهم وقدرتهم على النجاح.. تماماً كما فعلت أنا من فضل الله تعالى فقد كنت حمالاً بسيطاً ووالدي رحمه الله كان يعمل زبالاً وأمي أطال الله عمرها كانت خياطة.. الظروف لا تصنعُنا بل نحن من نصنع الظروف من حولنا بحسب نظرتنا لأنفسنا فإن كنت فقيراً وعندك أحلام فإبدأ بتحقيقها من الآن فالحياة لا تنتظر أحداً..!

حطم تماثيل اليأس بداخلك

● لا تصنع حائط مبكى بداخلك تذرف أمامه دموع الأسى والحزن وخيبات، الأمل فأنت من خذلت نفسك، فتوكل على الله واهدم الحائط وابن ذاتك من جديد!

● شعرة معاوية لا تعني أن تسير فوق حبل مشدود لترضي كافة الأطراف لأن الحبل قد ينقطع بك وحدك!

● هل فكرت يوماً بقيمة ما وهبك الخالق؟ وهل يجب أن تفقد بعض ما وهبك لتعرف قيمته؟ وهل شكرت ربك على ما وهبك؟ إبدأ من الآن بالشكر والإمتنان لربك.!

● قمة اليأس وانقطاع الأمل التام من رحمة الله يتجلى لنا في قصة شمشون حين هدم المكان على من فيه وقال عبارته التاريخية "عليّ وعلى أعدائي"، ولو فكَّر بالأمل وحُسن الظن بالله لما فعل ذلك.

● هل تحلم ببيت ملك؟ هل ترغب بإكمال دراستك؟ هل تتمنى البدء بمشروعك؟ إذن أصنع هدفك من الآن بإذن الله واكتبه وعلقه لتراه كل صباح وابدأ!

● مثل طفل صغير يمشي لأول مرة يخطو خطوة ثم يسقط حتى يمشي بثقة هكذا ستكون البدايات ربما ستتعثر قليلاً لكن لا تحزن فإنك ستنطلق بثقة فلم تعد طفلاً!

● تستطيع أن تكون بطلاً وتحطم تماثيل اليأس والفشل بداخلك مهما ظننت الأمر صعباً، ألم ترى كيف أن الأبطال يحطمون الأرقام القياسية حين يرغبون بذلك؟

● إذا كنت تشعر بأنك شخص غير محظوظ والدنيا تعاندك ومن حولك يفهمك خطأ وتفكر كثيراً بآراء الآخرين عنك، فأنت مهزوم داخلياً وبحاجة للتغيير الجذري!

أبواب السماء لا تُقفل

في الثامنة من عمري توفى أبي وأمي وجميع إخواني في حادث سيارة بينما نجوت أنا هكذا كانت مشيئة الله فقام عمي بتربيتي مع أبنائه ويا لها من تربية مروِّعة غيرت مسار حياتي وشكَّلت طريقي بمنعطفات حادة ألقتني فوق أرصفة المعاناة مرات عديدة بلا رحمة، واسمحوا لي أن أخبركم عن أبي – يرحمه الله– وصورته الجميلة التي مازالت تسكن ذاكرتي فقد كان يعمل معلماً كذلك أمي معلمة وكان ترتيبي الثاني بين أشقائي وهناك اثنين أصغر مني، كان أبي يتباهى بنا وبتفوقنا وأخلاقنا وأدبنا المتميز وكم كان الناس يندهشون حين يعلمون أن أبي وعمي شقيقين حيث كان عمي سيء الأخلاق يبغضه الناس لسوء تصرفاته وحتى أبناؤه في المدرسة كانوا من الطلاب المشاغبين كثيري المشاكل، مازالت تلك الذكريات الجميلة عن أبي وأمي وحرصهما علينا أنا وأشقائي عالقة في ذهني بل إنني مازلت أشعر بدفء يد أبي وهي تمسك بحنان بيدي الصغيرة حين كنا نذهب يومياً معه للصلاة في المسجد.

في يوم الحادث كنا عائدين من مكة بعد أدائنا للعمرة حين خرجت فجأة من الطريق المقابل سيارة مسرعة فصدمتنا .. أبي الحبيب ، أمي الحنون أشقائي كلهم انتقلوا إلى رحمة الله في موقع الحادث إلا أنا لم أُصب حتى بخدشٍ واحدٍ وسبحان من قدَّر ذلك. كانت أمي رحمها الله يتيمة الأبوين وكذلك كان أبي لذلك من الطبيعي أن تؤول كفالتي إلى عمِّي، وفي بيت عمِّي رأيت عَالماً آخراً لم يكن يخطر على بالي أن بشراً قد يعيشون بهذا الشكل المزري كان عمي يعامل أبناءه بعنفٍ شديدٍ ويضربهم بأي شيء تقع عليه يداه "حديدة، سلك، عصا، أبا جورة، حذاء.." منظر الدماء وهي تسيل من أجساد أبناء عمي وبناته بعد ضربه لهم أصبحت شيئاً روتينياً إلى تلك الدَّرجة التي لم يكُن فيها أحد يهتم بتضميد جراح أخيه أو أخته. وزوجة عمي أيضاً لم يكن يمر عليها أسبوع دون أن يضربها بعنفٍ إلى تلك الدرجة التي كنت أحسبها بعدها ستفارق الحياة..! أظنكم أشفقتم على هذه الأسرة التي وقعت تحت قبضة أب قاسي لكن انتظروا ولا تحكموا قبل أن أخبركم عن الجانب الآخر أيضاً فأبناء عمي وبناته بالمقابل كانوا يعيشون تفسخاً أخلاقياً كبيراً بل

ويجاهرون به.. فهم يدخنون أمام والدتهم ووالدهم ويعزفون على آلة العود مع أصحابهم في المنزل إلى الفجر دون أن يكترثوا لحرمة آذان أو جيران أو أية أعراف.. ويشربون الخمر ويعربدون كيفما شاؤوا وأينما شاؤوا ، أما بنات عمي فحدث ولا حرج علاقات محرمة استهتار بالقيم والأخلاق، عقوق بأمهم ، فشلٍ دراسي.. ستقولون عذرنا إذاً والدهم حينما يعاقبهم بالضرب لكنني سأُخيِّب ظنكم للمرة الثانية لأخبركم بأنه لم يكن يضربهم بسبب حرصه على أخلاقهم أو مستواهم الدراسي أو محافظتهم على الصلاة.. بل لأنه "مدمن مخدرات"، وحين يعاني من عدم توفر المخدر كان يحيل البيت إلى جحيم لا يُطاق في الفترة التي تلت وفاة جميع أفراد أسرتي أصبت بحالة من الإنطواء والإنعزال كنت كطفلٍ صغير يشعر بالغضب تجاه هذه الأحداث التي جعلت مني يتيماً فجأة وأعيش بكنف عم مدمن مخدرات وأبناء عم منحرفين وبيئة مروعة لم يكن أحد فيها يشعر بي أو يحتويني بحنان أو حتى يُخفف من مصيبة فقدي لأسرتي بكاملها!.

مرت سنوات المرحلة الابتدائية وعانيت فيها معاناة تركت آثارها على نفسيتي فيما بعد، فقد تعرضت فيها لتحرشات جنسية من قبل أحد أبناء عمِّي وتهديداتٍ بالتخلص مني إن أخبرت أحداً بذلك، وسوء معاملة قاسية من عمي لقد كان يضربني لأتفه الأسباب ويصب جام غضبه على جسدي الصغير حين أناقشه ولا أنفذ أوامره بشكل مباشر وأيضاً سوء توافق مع زملائي في المدرسة كما أن مشاكلي المتكررة جعلت مني طفلاً منبوذاً .. وسماعي تلك الليلة عمي وهو يقول لزوجته "بكرة سأبيع بيت أخي وكافة أملاكه.. إحنا نربي ولده ببلاش".

كل هذه الظروف السوداوية كانت مثل الخيوط التي يدور المغزل بها ليُشكِّل منها كرة أشواكٍ داميةٍ، حصلت على الشهادة الإبتدائية، وسجلت في المرحلة المتوسطة والتي لم أجلس على مقاعدها الدراسية فيما بعد.. ففي تلك العطلة كان عمي قد صنع مني إنساناً آخر حيث كان يصطحبني رغماً عني إلى مجالس زملائه من المدمنين والمخمورين لأخدمهم وأصب لهم كؤوس الشراب ليثملوا ويتحولوا إلى مجرد أجساد حيوانيَّة لا عقول تحكمها وشيئاً

فشيئاً بدأ يُرغمني على تناول الخمر معهم وإدمان الهيروين حاولت في البداية مقاومة مخططهم الدنئ لكن سياطه كانت في انتظاري كل مرة.. فأذعنت ولم يكن أمامي إلا الإذعان، كنت مجرد صبيٍ يتيمٍ خائفٍ في الثالثة عشر من عمره، وبعد شهرين تماماً كنت قد أصبحت مدمناً، وهنا بدأ في مساومتي إما أن أُنفذ ما يأمرني به بالترويج للمخدرات لحسابه الخاص أو أن يمنع عني الهيروين، ولم يكن أمامي خيار ولعل كل من يقرأ حروفي ممن ابتلاه الشيطان بهذا الداء يدرك قسوة سلاسل المخدرات والتي لابدَّ لها من إيمان وقوة إرادة ليتمكن الإنسان من تحطيمها وهذا ما لا كنت أملكه في تلك السنِّ الصغيرة.. وبدأت في ترويج المخدرات ومعرفة دهاليزها المظلمة وزبائنها المنحرفين وطرقها الموحشة!

أنا أريدكم فقط أن تتخيلوا صبياً في الثالثة عشر من عمره يتيم نحيل الجسد زائغ النظرات فوق ظهره بقايا ضربٍ موجعٍ بسبب عم جلادٍ لم تجد الرحمة طريقاً إلى قلبه، مجرد صبيٍ نحيل يرتجف خوفاً من كل من حوله وكل ما حوله هكذا كنت أنا وهكذا سيطر عليَّ عمي تماماً.. ثلاث سنوات مرت وأنا أروِّج لعمي المخدرات ولا يعطيني

ريالاً واحداً لقاء التَّرويج فقط كان يرمي حقنة الهروين في وجهي وكأني نجاسة نسي أنه هو من تسبب فيها.. في إحدى اللَّيالي قُبض عليَّ في كمين لمكافحة المخدرات وتمت محاكمتي وإيداعي في إصلاحية الأحداث .. وتخلى عني عمي تماماً وأنكر معرفته بترويجي للمخدرات ومعرفته بإدماني وحين قابلني على إنفراد همس في أذني "ستنام هذه الليلة بجانب أهلك لو تكلمت بكلمة عني أو أخبرتهم أنك تروّج المخدرات لحسابي" لم أكن في نظره سوى عبدٍ حقيرٍ اشتراه بماله ولم يكن في نظري سوى سيد جلاد منزوع القلب والعاطفة.

قضيت في الإصلاحية سنتين كُنت أشبه فيها بمن ينقش ذكرياته على صخرٍ صلبٍ فلا الصخر زال ولا الذكريات زالت.

أحسست في هاتين السنتين ببشاعة اليتم والحرمان وقسوة أن لا يسأل عنك أحد فتظل وقت الزيارة وحيداً في عنبرك تجتر آلام الذكريات الحزينة بينما زملاؤك يضحكون ويتحدثون مع أهاليهم. يا له من إحساس مدمِّرٍ أن تشعر أنك وحيد لا يشعر بك أحد، انتهت فترة سجني واتصلوا بعمي ليستلمني وجاء مسرعاً فهو بلا شك

يحتاجني في ترويج بضاعته، لكنه لم يكن يعلم أن ذلك الصَّبي الخائف قبل سنين أصبح رجلاً في الثامنة عشر من عمره وبين أضلعه حجر تيبست نبضاته بعد فترة من خروجي طلب منِّي عمي أن أعود للترويج لكن هذه المرة وافقت بشروطي وبنسبة معينة وأرغمته على القبول بعرضي أو سأترك العمل معه.. كان متفاجئاً من تحوِّلي الكبير وليته كان يعلم أنه هو من صنع هذا الوحش في داخلي سبع سنوات مرت أصبحت معروفاً بين المروِّجين والمتعاطين وكونت ثروة كبيرة من المخدرات، وأصبحت مثل الألغام التي تنسف كل من يطأ عليها، وكان أول ضحاياي عمي، فقد بلَّغت عنه وضبط في عملية ترويج وحكم عليه بعشر سنوات، كذلك دبَّرت عملية مخدرات كيدية لابن عمي الذي تحرش بي عدة مرات، وأيضاً تم الزَّج به إلى السجن وأصبحت مروج مخدرات مشهور وإنسان بلا قلب ولا ضمير أُزيح كل شخص عن طريقي وانتقم من كل إنسان أختلف معه ولو خلافاً بسيطاً، لا أعرف الصلاةَ ولا الصِّيام ولا الدعاء ولا أي معنى روحاني بل تناسيت بأن عين الرقيب لم تكن تغفل عني وأنا أظلم هذا وأكيد لذاك وأتعدى على تلك.

في الخامسة والعشرين من عمري قبض علي في عملية ترويج مروعة مات فيها أربعة من زملائي رأيت منهم واحداً يحتضر- وهو يحاول وخز الإبرة في وريده والضابط يقول له: "قل لا إله إلا الله" وهو يقاومه في حركات لا إرادية ويمسك بإبرة الهروين ويتوسل للضابط أن يغرزها في وريده، والضابط يحاول أن يجعله يتشهد بلا فائدة إلى أن صعدت روحه!

كنت مثل مسافر قادم من وعثاء السفر وينظر إلى نفسه في المرآة غير مصدق بأنه هو هذا الإنسان الوحش المخيف!.

في طريقي نحو السجن تساءلت لو قُدِّر لأبي أن يراني مرة أخرى أكان سيصدق أن هذا المجرم مروج المخدرات هو طفله الصغير الذي كان يمسك بيده ليصليا معاً في المسجد؟!

أسيصدق أنه هو طفله الصغير الذي يفتخر به ويتباهى بتميزه الدراسي وأخلاقه الجميلة؟!

أسئلة كثيرة كانت تصطدم ببعضها البعض في عقلي، وتعتصر مرارة الذكريات الأليمة محاولة أن تجد لها جواباً أو على الأقل شماعة تعلق عليها إخفاقي وفشلي ومشواري الأسود غير المشرِّف.

كانت صورة صديقي وهو يحتضر ويتوسل للضابط أن يغرز الإبرة في وريده لا تفارق ذهني وقد شاركتني أحلامي لسنين عديدة فيما بعد! وهي التي غيرت حياتي من بعد الله لأني لم أرغب أن تكون نهايتي مثله!

حُكم عليَّ بخمسة عشر عاماً في السجن، وفي السجن تذكرت قوله تعالى: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ البقرة: ٢١٦.

السجن كانت بالنِّسبة لي بداية الطريق الذي اكتشفت فيه نفسي من جديد وحفرت بقسوة وعزيمة حتى وصلت لذلك الطفل الصغير الطاهر في داخلي الذي كان لسنين عديدة يُردم تحت وحل حياة لم يخترها في البداية لكنه كان مسؤولاً عن مجرياتها وقراراتها فيما بعد!

أترغبون في معرفة كيف مرت عليَّ هذه الخمسة عشر عاماً؟!

في السِّجن انتسبت للمرحلة المتوسطة واجتزتها بكل سهولة بفضل ربي وانتسبت للمرحلة الثانوية وحصلت عليها بتفوق، وانتسبت للجامعة وحصلت على البكالوريوس بامتياز والأهم من كل ذلك حفظت كتاب الله كاملاً وقد كان رفيقي ومايزال ففيه الأمان والإطمئنان بإذن الله، أصبحت أحظى باحترام كل الموظفين والضباط في السجن وزملائي .. وقد أحدثت تغييراً كبيراً في حياة الكثير منهم.

بعد انتهاء فترة سجني خرجت وأنا في الأربعين من عمري لا أهل لا أولاد لا أقارب أذهب إليهم، خرجت وتلقفتني الحياة بكل مافيها من تناقضات لكنِّي هذه المرة لم أكن وحيداً فقد كان الله معي والقرآن رفيقي لذلك أيقنت بأنه لن يخذلني.. في تلك الليلة صليت بمسجد قادتني إليه قدماي كنت جائعاً أرتجف برداً ولا أملك ريالاً واحداً في جيبي، صلى المصلون وخرجوا وأسندت ظهري على سارية المسجد ورحلت في عالم جميل روحاني من الإستغفار والشكر للكريم المتفضل الذي منَّ عليَّ بالحرية والصحة .. حين انتشلني صوت إمام المسجد من عالمي "يا ولدي، أنت فيك شيء!" حين

سمعت كلمة "يا ولدي" انهمرت دموعي رغماً عني فلم أسمع هذه الكلمة منذ أكثر من ثلاثين عاماً.. حكيت له حكايتي من بدايتها لنهايتها وحين انتهيت كانت دموعه تبلل لحيته الطاهرة ودعاني لمنزله وقدم لي الأكل والفراش الدافيء ووثق بي وقال لي كلمة صادقة مازال صداها يتردد في نفسي "يا ولدي رب العالمين يبي يعطيك حتى يرضيك لكن أبعد عن دروب شياطين الإنس") بحثت فيما بعد عن وظيفة في كل قطاع حكومي أو خاص لكني للأسف لم أجد أحداً يرحب بي أو يقبلني فقد كانت نظرات الشك تحيط بي دوماً وسوابق السجن تلاحقني، لكن من قال بأن الرزق يستطيع البشر أن يغلقوا أبوابه في وجهك حين يريد الكريم المتفضل أن يفتحه لك.

لقد توسط لي ذلك الشيخ الفاضل لدى قريب له كريم أخلاق لأعمل عنده في محل عقاري (قهوجي) أصنع الشّاي والقهوة وأنظف المحل وأمسح الأرضية والأثاث براتب بسيط يكفي احتياجاتي الأساسية، كما أنه سمح لي أن أنام في غرفة خلفية ملحقة بالمكتب صغيرة بالكاد تتسع لفراشي، مضت سنة على وجودي أستطعت فيها أن أثبت استقامتي وأمانتي وأحوز على ثقة صاحب

مكتب العقار الذي تفاجأ بأني حاصل على مؤهل جامعي وهذا ما دفع به إلى تعييني موظفاً عنده في المكتب بعد أن انسحب الموظف السابق من عنده.. مرت خمس سنوات عرفت خلالها أسرار العمل العقاري وطرق البيع والتحصيل والشراء وكيفية التعامل مع الزبائن الراغبين بالبيع أو الشراء، جمعت خلال هذه السنوات مبلغاً لا بأس به فكرت في البدء بمشروع من خلاله لكني في كل مرة كنت أصرف النظر لانغماسي في عملي ولم أكن أعلم حينها أن هناك منعطف كان ينتظرني سيغيِّر حياتي بإذن الله تعالى.. فقد توفى صاحب المكتب – يرحمه الله تعالى – وعرض أبناؤه المكتب للتقبيل فأشتريته منهم بكامل المبلغ الذي كان معي، وبدأت أعمل لحسابي الخاص وخيَّرت الموظفين الثلاثة وعامل نظافة أن يبقوا معي ولكن عليهم أن ينتظروا حتى أتمكن من دفع رواتبهم حسب ما يكتب الله لي من الرزق أو لهم الخيار في ترك العمل ولكنهم فضلوا الخيار الثاني فتركوا العمل، أصبح العمل مرهقاً بالنسبة لي فقد كنت أصحوا فجراً وأصلي بالمسجد وأقرأ ما تيسر من القرآن الكريم ثم أعود للمكتب أنظفه وأمسح الغبار عن المكاتب وأكنس الأرضية وأعد الشاي والإفطار

لي وبعد الانتهاء من تناولها أُراجع الأوراق وأُطَّلع على قائمة الزبائن والعروض وجدولي اليومي حيث كنت شديد التنظيم، بعد ذلك أفتح المكتب في الثامنة صباحاً إلى الحادية عشرة ليلاً بدون توقف، ثم ارتمي على فراشي في الغرفة الصغيرة التي بالكاد تسعني مع أغراضي.

سنة كاملة مرت عليَّ حققت فيها سمعة طيبة في سوق العقار إلى أن جاءت كما يقولون صفقة العمر من خلال بيعة قطعة أرض تجارية مميزة كان نصيبي من (السعي) فيها خمسة ملايين ريال! هل تصدقون ذلك؟ نعم خمسة ملايين ريال بالتمام والكمال ألم أقل لكم حين يفتح الكريم باب رزقه فلن يستطيع أحد من البشر إغلاقه.

اشتريت منزلاً جميلاً وتزوجت من امرأةٍ صالحةٍ وجاء أول أبنائي وأنا في الخمسين من عمري، اشتهرت بين الناس بصفقاتي الرابحة والناجحة من فضل الله تعالى فأصبح لي زبائن مميزين وأصبحت ثروتي تقدر الآن بمئات الملايين من الريالات.. فالحمد لله والشكر له شكراً يليق بتكرمه ونعمائه.

أبنـائي أصـبحوا شـباباً أفتخـر بهـم وبـأخلاقهم وتميـزهم وزوجتي الحبيبة كانت خير رفيقة لي في دربي.

خلاصة تجربتي التي أهديها لكم إنَّ تلك الأبواب حين تُغلـق في وجوهكم فآمنوا بأن هنالك أبواب أكثر منها مفتوحة تنتظـركم أن تلجوا منها.. ولا تحزنوا حين تلهب جلـودكم سياط أقـرب النـاس إليكم، بل اصنعوا منها تحدياً تختبرون فيه ثقتكم بأنفسكم وقـدرتكم عـلى النجـاح ، الإنهزاميـة لا يزرعهـا الآخـرون في نفوسـنا إلا إن وجدوا تربة خصبة في داخلنا تحتضنها..

● لذا أهمس في قلـوبكم قبـل آذانكـم .. أنـتم مـن تصـنعون أحلامكم فلا تسمحوا لأي كائن أن يُفسد أحلامكم التي آمنتم بهـا، فاتكلوا على الله وحده واجتهدوا وأحسنوا الظن به وارسموا الأمـل والنجاح من الآن فأنتم تستحقون أن تعيشوا الحياة بسعادة.!

استعد ..وخطط جيدا

يقول توماس أديسون (من المفيد أن تخطط للأمور مقدمًا فلم يكن المطر قد نزل بعد حين قام نوح ببناء سفينته).

ويقول (هايمان) في تعريفه للتخطيط (هو تحديد سابق لما سيتم عمله، وتحديد لخط سير العمل في المستقبل، يضم مجموعة منسجمة ومتتابعة من العمليات؛ بغرضٍ تَحقيق أهداف معينة).

ولكن الكثيرون للأسف لا يدركون أهمية التخطيط الجيد للوصول لأهدافهم التي رسموها فهم يعيشون ضمن الإطار الزمني لليوم الواحد فقط ويتأثرون كثيرًا بتجارب الآخرين المحبطة لذا نراهم يرددون بإتكالية (اصرف مافي الجيب يأتيك ما في الغيب) وغيره من الأمثال الشعبية المحبطة التي تدعو للتقاعس والإتكالية وعدم التفكير المنطقي والتخطيط الواعي المدروس خاصة إن كان الشخص يقيم وزنا لآراء الآخرين .

لنفترض مثلاً أن شخصًا ما قد وضع له هدفًا يتمثل بامتلاك بيت ملك خاص به وبأسرته خلال خمس سنوات لكنه لم يخطط جيدًا لتحقيق هذا الهدف فهو (ماشي بالبركة) فيسافر سنويًا ضمن ميزانية تفوق دخله المادي بكثير وربما استدان وألزم نفسه بأقساط

شهرية لأجل هذا السفر إذن في هذه الحالة هو ابتعد عن هدفه خطوة، وهو لا يمانع لهاث زوجته وراء الكماليات من تحف وإكسسوارات وألعاب ولوحات وأثاث ربما يعلوه الغبار أحيانا قبل أن يجلس فوقه أحد الضيوف وهذه الكماليات سترهقه ماديًا من حيث لا يشعر وستكون مثل البعوضة التي تمتص دمه فلا يشعر حينها بلسعتها لكن حين تتورم يده سيحس بالأثر العميق للألم وهنا سيكون ابتعد خطوتين عن هدفه ، وهو لا يمانع في تناول العشاء أو الغداء مع أطفاله مرتين أسبوعيًا في المطاعم والمتنزهات والملاهي وهكذا سيكون قد ابتعد عن هدفه ثلاث خطوات ، إن كل خطوة غير مدروسة ستساهم في إبعاده عن هدفه لأنها قائمة على عدم التخطيط الجيد ، يقول والتر أولبرخت (لكل أسرة واعية ميزانية توضح كم سيتم الإنفاق على البيت والأغراض الأخرى. ومن دون ذلك التخطيط، ستسوء الأمور بسرعة) .

التخطيط الجيد لا بد منه لكل شخص يرغب حقاً بتحقيق أهدافه التي يصبو إليها وهناك مبدأ (swot) الذي يقوم على طرح أربعة أسئلة رئيسية يجب أن يكون الشخص المخطط على دراية بإجاباتها وهي :

١ – أين أنا الآن؟ وما هو وضعي الحالي (التشخيص).

٢- أيـــن أريـــد أن أكـــون؟ ومـــاهي طموحـــاتي المســـتقبلية (التهديف).

٣- كيف سـأبلغ تلـك المرحلـة؟وما هـي الوسـائل المطلوبـة (التنظيم).

٤- كيـف سـأعرف أننـي حققـت مـا أصـبو إليـه؟ (التنفيـذ والتقييم). والتخطيط الجيد لا يقتصر على الأفراد فقط بل يتعداه إلى المؤسسات والشركات والمجتمعات والدول ولذلك اهتمت الـدول المتقدمـة بـالتخطيط وصرفـت الأمـوال الطائلـة عليـه ولم (تمشيـ بالبركة) ولعل خير مثال على التخطيط الجيد في عصرنا الحالي هو مـا فعله مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا الذي رسـم خريطـة لمسـتقبل ماليزيا حدد فيه الأولويات والأهداف والنتائج، التي يجب الوصول إليها خلال ١٠ سنوات .. وبعد ٢٠ سنة .. ثم حتى عام ٢٠٢٠م !

إذن عزيزي القاريء إن لم تتحقق أهدافك فـربما يكـون هنـاك خلل في تخطيطك فأعد النظر فيه مرة أخرى.

القائمة السوداء..!

في رحلة حياتك الطويلة وطريقها المتعرج ستفاجأ بين الحين والآخر بمطبات مؤلمة لم تحسب لها حساباً ، وبحفر عميقة ستسقط بداخلها بلحظة تردد ، وبمستنقعات ستغوص بها رجلاك حتى توشك قواك أن تخور وأنت تبحث عن خلاص، وبغابات مظلمة مخيفة ستتلاطم فيها أفكارك وعواطفك عند اتخاذ قرار ما ، وخلال رحلة الحياة أيضا ستحل بك شدائد وستنادي أصحابك الأوفياء لتتكئ على سواعدهم التي ظننتها ستكون عكازك حين تقصم ظهرك الأيام ، لكنك لن تجد الأصحاب ولا العكاز ، كما قال الشاعر " لقد ذهب الحمار بأم عمرو . . فلا رجعت ولا رجع الحمار" ..!

ما سوف تقابله من أحداث مؤلمة موجعه بطريق حياتك ستكون تجاهها أمام خيارين لا ثالث لهما ..!

❁ الخيار الأول أن تظل رهينًا لهذه الأحداث والمواقف فلا تستطيع التخلص من قيودها التي ترغمك على أن تحمل معك تركة الماضي بما فيها من حطام ومواجع إلى حاضرك الذي تعيشه وفي هذه

الحالة ، فإنك لن تهنأ بعيش ولن تتلذذ بسعادة ولن تشعر بروعة الشمس وهي تشرق كل صباح لأنك مشغول بجلد ذاتك وردم كل فتحة قد ينفذ منها ضياء الأمل ، فالحزن والكآبة تحملهما بداخلك حيثما رحلت وارتحلت ، وغالبًا ما يعتبرك معظم الناس ضيفًا ثقيلا " تكتم " أنفاس الحاضرين بسلبيتك وتذمرك وبكاءك على الأطلال وندب حظك العاثر المتعثر فأعانهم الله عليك وأعانك على نفسك ، فأنت وأحداث ماضيك المؤلمة مثل فيل صغير أحضره مدرب سيرك وربطه بقيد ثقيل وحين حاول مرة تلو الأخرى أن يتخلص من قيده فشل فاستسلم وحين كبر لم يحاول أن يحطم قيده لأنه مهزوم في داخله ، ولو حاول لحطم خيمة السيرك بأكملها وليس فقط الحبل المربوط بالوتد، وكذلك أنت لو كنت تملك الرغبة الجادة والتصميم على تجاوز عثرات الماضي لنجحت !

❁ الخيار الثاني أن تعتمد شعار " الضربة التي لا تقتلك تقويك " وأن ترفعه أثناء سيرك بطريق الحياة وتعتبر أن كل ضربة موجعة وكل حدث مؤلم يمر بك هو بمثابة درس ثمين تدرك أن عليك دفع ثمنه أولاً لتستمتع بفائدته لاحقًا ، وأن تتخيل التجارب

والمواقف مهما كان وقعها المؤلم على نفسك ، مثل فرن متوقد وتتخيل نفسك مثل قطعة ذهب خام تدخل الفرن لتنصهر فتصبح أكثر جمالاً وبريقًا وقوة ، وأن تحرص دومًا على ما يفيدك ويزرع الثقة بداخلك ويقويك ويجعلك أشد صلابة على مواجهة المواقف لا الانحناء لها والتباكي فوق أطلالها البائسة .

فإن اخترت الخيار الثاني فهنيئًا لك وكل ما عليك فعله أن تصنع لك قائمة سوداء وتكتب فوقها بحبر أسود كل حدث مؤلم وتجربة موجعة مرت عليك وكل محب خذلك وكل عكاز انكسر قبل أن تتكئ عليه ثم ترميها في أعماق بئر مظلم لا ينفذ إليه الضوء أبدا .

واصنع قائمة بيضاء وأكتب فوقها بكل ألوان الطيف الساحرة الجميلة كل حدث جميل ملهم منعش رائع ، مر بك في حياتك ، ارسم كل تفاصيله ، وتذكر كل تقاسيم ملامحه العذبة ، وامزجه بمشاعرك التواقة ، بعد ذلك علق قائمتك البيضاء فوق جدران قلبك ونوافذ عمرك ومرايا حياتك، واحتفل بها عند كل اشراقة شمس وضياء قمر ، واشكر الرحمن على نعمة الحياة التي تضج بصدرك المفعم بالأمل وحسن الظن بربك المتفضل .

النجاح يأتي في النهاية

حين فتحت عيني على هذه الدنيا كنت من اللاتي يطلق عليهن" مولودة وفي فمها ملعقة من ذهب " كنت الابنة الوحيدة بين ثلاثة أشقاء وقد ولدت لأسرة ثرية بل فاحشة الثراء ولذلك كان الدلال الكبير من نصيبي وكانت دائرة الاهتمام تحيط بي في كل مكان أتواجد فيه، كنت أعيش في قصر كبير فخم، أثاثه الراقي مستورد من أرقى محلات باريس وتركيا، وبين جنباته وزعت الأباجورات و التحف الباذخة الثمن وفي أسقفه علقت الثريات الغالية، كانت تقوم على تنظيفه وترتيبه ثلاث خادمات ومديرة منزل، أما غرفتي الخاصة فقد كانت من أجمل غرف المنزل حيث تم تصميمها من قبل مهندس ديكور فرنسي، واهتمت والدتي أطال الله عمرها بكافة تفاصيلها الصغيرة، وكانت أدراج ألعابي تكتظ بأغرب الألعاب وأجملها وأغلاها ، أما دولابي الكبير فقد كان يضيق أحيانا من كثرة الملابس الثمينة من أشهر محلات لندن وأوروبا .

هكذا أتيت للحياة طفلة صغيرة تتقلب بحياة النعيم والبذخ والثراء، فوالدي رجل الأعمال المعروف وتاجر الأسهم العريق

كانت صفقة واحدة من صفقاته كفيلة بأن تجعلنا نعيش العمر كله لا نحتاج أحدا، لذلك بدأ إحساسي بالتعالي على الآخرين والنظرة الدونية لهم يتشكل مع شخصيتي أنا وأشقائي وخاصة نحو أطفال الخدم الذين يعملون لدينا، وأذكر في فترة ما أن ابنة الخادمة التي كانت بعمري ظلت تأتي إلى والدتها لمدة أسبوع كامل لأن والدها كان مريضًا في المستشفى ولم يكن هناك أحد في المنزل فكانت تخرج من مدرستها ظهرًا وتأتي لبيتنا، فتاة فقيرة رثة الثياب هزيلة الجسم حذائها البالي الممزق كثيرا ما كان يضحكني وأسخر منها بسببه وكانت بمجرد أن تحضر امسك بيدها وأذهب لأتجول بها في أنحاء منزلنا وحديقتنا وغرفتي وأريها مقدار الثراء الذي نعيشه وأتعمد جرحها وأهانتها بل وأتلذذ بذلك، وفي يوم ما وخلال جولتي الخبيثة معها أسقطت بقصد مني تحفة ثمينة على الأرض فتكسرت قطعاً صغيرة وتناثرت على البلاط، كان صدى سقوطها مخيفا فجاء كل من بالبيت وصرخت والدتي بهستيريا جنونية : من أسقط تحفتي الغالية؟ حيث كانت هذه التحفة بالذات من اعز التحف إلى قلبها ؟ فأشرت إلى ابنة الخادمة بإصبعي، فرفعت أمي يدها وهوت على

خدها الصغير بصفعة لو وجهت لرجل بالغ لآذته، هرعت أمها إليها واحتضنتها بخوف وهي تردد سامحيها سيدتي سأعوضك عن ثمنها من راتبي، وبمنتهى الازدراء سألتها والدتي أتعرفين كم ثمن هذه، لو عملت طوال حياتك أيتها الخادمة ما سددت لي ربع ثمنها لكن إياك أن تريني وجهك مرة أخرى أنت وابنتك، هذه وأخذت أمي تنهال عليها وعلى صغيرتها بالضرب والركل تارة بيدها وأخرى بحذائها وبقية الخدم يتفرجون بألم وقهر ولا يستطيعون حمايتها فقد كانوا يدركون مدى سطوة أمي وقسوتها، ولن أنسى نظرة تلك الفتاة الصغيرة التي رمقتني بها والدموع تملأ عينيها الزرقاويتين، وهي تغادر بيتنا للأبد وآثار الضرب بادية على جسدها هي ووالدتها الفقيرة، هذا الموقف كان مجرد حلقة في سلسلة طويلة اعتدنا أنا وأسرتي أن نذل الآخرين بها ونشعرهم بأفضليتنا عليهم ولم نكن نعلم حينها ماذا كان القدر يخبئ لنا ؟.

حين بلغت الثامنة عشر من عمري أرسلني والداي لبريطانيا لأدرس الحقوق بجامعتها العريقة وقاما باستئجار شقة فخمة لي وخادمة تقوم على خدمتي والقيام بشؤوني الخاصة، كنت أعشق

التباهي والتفاخر بكوني ابنة رجل أعمال ثري من خلال الأزياء، الثمينة والساعات السويسرية والحقائب الجلدية الفاخرة لكن هناك لم يكن احد يعبئ بي ولا بأفكاري الغريبة فقد كان الجميع مشغول بالدراسة الجادة وبناء النفس وتطويرها، في نهاية السنة الأولى عدت إلى وطني وكانت هذه هي آخر رحلة سفر في حياتي قدر ربي أن أقوم بها.. أتريدون ان تعرفوا ماذا حدث ؟

حين عدت إلى المنزل شعرت إن هناك أمور كثيرة قد تغيرت بعد سفري، فقد كانت أمي تبدو دائما مهمومة وساهمة وحزينة، وأبي كان شارد النظرات معظم وقته، أما أشقائي فقد كان كل واحد فيهم يعيش بعالمه الخاص غير مكترث بما يجري حوله، بعد عدة أيام من وصولي علمت أن أبي يعاني من أزمة مالية خانقة نتيجة صفقة خاسرة كلفته كثيراً، كانت قروض البنوك تلاحقه والتجار يطالبونه بالسداد، وحتى شركة التامين رفضت تعويضه، بدأت استدعاءات الشرطة والمحاكم تتوالى على منزلنا وأصبحت الدائرة تضيق وتضيق حول أبي، واضطر إلى بيع جميع ممتلكاته وعقاراته ليسدد القروض ولكن عبثاً فقد كانت الخسارة فادحة ومرعبة، واضطر إلى بيع منزلنا

وسياراتنا وصرف الخدم والعاملين بالمنزل واستئجار شقة صغيرة لنا بحي متواضع بائس، ورغم ذلك ايضا لم يتمكن من السداد للدائنين فتم حبسه على ذمة شيكات بدون رصيد لخمسة عشر سنة، والدتي لم تتحمل ما جرى فأصيبت بجلطة بالمخ نتج عنها شلل بجانبها الأيسر وشبه فقدان للنطق وأصبحت أسيرة للكرسي المتحرك، أشقائي هاجر اثنان منهما لأمريكا هربا من نظرة الناس وزملائهم لهم بعد ما حدث فقد كانا جبانين ولم يواجها الأمر، أما أخي الصغير فقد ظل معنا ولم يتركنا .

كان ما حدث لنا أشبه بانهيار جليدي لم نستعد له، لقد ردمت قمم الثلوج المنهارة أرواحنا حتى كادت أنفاسنا تختنق تحتها، حين يكون الإنسان فقيراً ويكافح نحو الغني والثروة ويحصل عليهما فذلك أمر جميل ومتوقع ويستطيع أن يتكيف معه أي إنسان، لكن حين تكون ثرياً وتفقد كل شيء فجأة من رفاهية عيش وطلبات مستجابة ومنزل كبير وخدم وحشم فقد تصاب بالجنون وقلة هم من يتكيفون مع هذا الوضع ويتقبلونه، والغالبية العظمى يهربون من مواجهته كما فعل شقيقاي المهاجران، كانت الأيام الأولى لنا في

الشقة اختبار حقيقي مؤلم لمدى قوة تحملنا وصبرنا وتكيفنا مع الوضع الجديد وقد فشلنا في الاختبار وقتها فشلا ذريعًا، حيث كنت شديدة العصبية ولا أتقبل أي ملاحظة من شقيقي، و لو كانت أمي بكامل عافيتها لربما كان الأمر أهون على نفسي لأنها كانت ستتحمل جزءا من المسؤولية، أما في الوضع الحالي فإني أواجه تحديا كبيرا في التأقلم مع الوضع الجديد وفي نفس الوقت ضرورة العناية بأمي المريضة، كنت أشعر بأن كل شيء من حولي ينهار، إحساس موجع بالضياع وكأن ضباب كثيف يحجب الرؤية عن عيني، فكرت بالهجرة عند خالتي بأستراليا وترك كل هذا الحطام خلفي، لكنني تذكرت احتياج أمي لي فتخليت عن الفكرة .

في أول يوم بالشقة البائسة لم اعرف كيف أشعل موقد الغاز، فقد كانت أعواد الثقاب تنطفئ قبل أن تصل للموقد، إحساس مدمر بالعجز، وقلة الحيلة، بكيت وبكيت وبكيت فقد أدركت أخيرا بأن ما نمر به ليس وضعا مؤقتا بل هو حياة مختلفة تماما ويجب أن نتكيف جميعنا عليها، خرجت من المطبخ والتقيت عيناي بعيني أمي، وبمنتهى الصمت بدأت دموعها بالانهمار ربما حزنا على وضعنا أو

شفقة علي أو تألما على فراق والدي وهروب أشقائي وتخليهم عنها وهي بأمس الحاجة لهم، من أقسى اللحظات التي قد تمر عليك في حياتك هي إحساسك بالعجز التام وكأن يديك وقدميك تحيط بهما القيود، شلل تام في التفكير، وفي الرؤية المنطقية، وفي إيجاد الحلول، شعرت أن كل ما حولي أصبح فراغا مخيفا، لم اكن أملك سوى دموعي لذلك استسلمت للبكاء ولا أدري لكم من الوقت جلست أبكي، فالوقت بالنسبة لي أصبح عديم القيمة كما كل شيء أصبح لا قيمة له في حياتي، طرق خفيف على الباب نهضت لأفتح وإذا بإحدى الجارات وبين يديها صينية مملوءة بما لذ وطاب من الأكل، كان ابتسامتها الصادقة وروحها المؤمنة بمثابة بلسم وضع فوق جروح نازفة، ومن يومها بدأت مرحلة جديدة من حياتي بدخول هذه الجارة الطيبة فيها، كانت تعمل ممرضة بمستشفى خاص وقد أخبرتها بتفاصيل قصتنا وتعاطفت معي ومع والدتي بشكل كبير وأصبحت تزورنا يوميا، فهي أرملة توفي زوجها وهي ما زالت صغيرة لكنها فضلت تربية ابنيها اللذين يدرسان في أمريكا أحدهما بكلية الهندسة والآخر بالطب، ولذا فهي تعيش وحيدة بشقتها،

سبحان الله، أحيانا حين تشعر أنك تغوص وتغوص في مستنقع اليأس والحزن وأنفاسك ترحل ببطء وبرودة الموت تسكن أطرافك من بعيد سيتراءى لك خيال إنسان يقترب منك ويمد إليك يده ليسحبك نحو الحياة، فلا تتردد فهذه الإشارة إن لم تغتنمها فستكون خاسرا لأن الكثيرين لا يتوقفون ليمدوا إليك أيديهم، بدأت هذه الجارة الطيبة في تعليمي كيفية تنظيف الأثاث وإشعال الموقد وطبخ الطعام وشراء حاجيات المنزل الضرورية وكيفية الاقتصاد، وطريقة إعطاء والدتي الدواء وعمل العلاج الطبيعي لها، مرت سنة كاملة منذ انتقلنا إلى هذه الشقة البائسة وقد بدأنا نتقبل حياتنا فيها ونتكيف معها شيئًا فشيئًا، ولكن بدأ المال الذي كان مع والدتي في النفاذ، حاول شقيقي أن يبحث عن عمل ولكن بلا جدوى فقد كانت رفاهية العيش والبيئة المرهفة التي عاش فيها تحول بينه وبين الصمود في الأعمال المهنية البسيطة التي كان لا يجلس فيها إلا أسبوع على أكثر تقدير، وكم كان يتوق لدخول الجامعة ولكن المصاريف المادية كانت عقبة بتحقيق حلمه، طلبت من جارتنا الطيبة أن تبحث لي عن عمل في المستشفى الخاص الذي تعمل به، ولأول مرة اطلب شيئا من

أحدهم بعد أن عشت حياتي المرهفة وأنا معتادة على إلقاء الأوامر وفعلا وبفضل الله وجدت لي وظيفة كاتبة وبمرتب معقول سيساعدنا كثيرا، بدأت مرحلة كفاح طويلة كان أصعب ما فيها بدايتها، ولكم أن تتخيلوا نفسية فتاة كانت مرهفة ثرية مدللة في العشرين من عمرها وهي الآن تعمل كاتبة بسيطة، وتخالط أناسًا بسطاء، وتكون تحت رحمة مراجعين بعضهم قد ينهرها ويسيء التعامل معها ولكنها ستضطر للصبر والتحمل رغما عنها، وحين تعود ستجد أما مريضة تحتاج إليها لإعطائها الدواء ومساعدتها بالعلاج الطبيعي، وشقة بائسة تحتاج تنظيفا وترتيبا وتلميعا، ومطبخا كئيبًا عليها أن تعد فيه وجبات بسيطة بالكاد تكفيهم أن يملؤوا بطونهم كفافاً، وشقيقًا عاطلاً ينعى حلمه في عدم إكمال دراسته، أعترف لكم كنت محطمة تماماً، وكان ذلك الشعور هو نفسه الذي راودني حين حاولت إشعال الموقد لأول مرة، إحساس فظيع مؤلم بالعجز والحزن وعدم القدرة على المقاومة، صعبة كانت الأشهر الأولى لأن الضغط كان هائلا على نفسيتي بشكل كبير، لكن سبحان من يمنحك القدرة على الصمود، بدأت في التقرب إلى الله أكثر وأكثر

مكتبة

وقد تندهشون لو أخبرتكم إني لم أكن أصلي فيما مضى- ولم يكن أي أحد يعبئ حتى بذلك، شعرت بنور اليقين يسكن نفسي- ويمنحني القوة على مواصلة المشوار، ووجدت سلواي بالصلاة وقراءة القرآن والدعاء، بدأت أجد ذاتي أكثر وأكثر وأتعرف على نفسي كما لو كنت لم أعرفها من قبل، أحيانا يكون الابتلاء خيرا لنا رغم ضيقنا منه وتبرمنا من لحظاته المثقلة بالهموم سبحان القائل: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَاتَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]. كل شيء تغير للأفضل بحياتي، أمي التي كنت انظر إليها على أنها عبء أصبحت أتلذذ بخدمتها وتنظيفها ومساعدتها في العلاج الطبيعي، الشقة البائسة أصبحت بنظري أجمل وأروع من قصرنا الفخم، وظيفتي البسيطة أصبحت أعشقها وأشكر الله الذي يسرها لي، قضيت في وظيفتي ثلاث سنوات استطعت خلالها أن أثبت كفاءتي بالعمل وتمت ترقيتي وزاد راتبي قليلا، واستطعت أن أسدد مصاريف التحاق شقيقي بالجامعة، وفي أحد الأيام التي كانت جارتنا الطيبة تزورنا فيها اقترحت عليَّ أمراً جميلاً وهو أن أكمل دراستي فأنا حسب قولها

لم أزل شابة في الخامسة والعشرين من عمري ولم يفت الأوان بعد، لا أخفيكم سرا أن رأيها ظل يتردد في خاطري سنة كاملة إلى قررت أخيرا أن أتوكل على الله تعالى وأسجل انتساب بالجامعة بكلية الاقتصاد، بدأت في التعرف على زميلات رائعات خلال فترة الاختبارات قمن بمساعدتي كثيرا وخاصة في المذكرات والمراجع، واجتزت السنة الأولى بنجاح من فضل الله تعالى، كان هناك تحسنا واضحا على صحة والدتي فقد بدأت تحرك يدها قليلا وتنطق بعض الكلمات البسيطة والأجمل أنها أصبحت تواظب على الصلاة وتستمع كثيرا للقرآن الكريم، كانت ظروفنا المادية تتأزم أحيانا وخاصة حين يجتمع إيجار الشقة وشراء أدوية أمي وأقساط جامعة شقيقي لذلك بدأت في التفكير الجدي بعمل إضافي جديد يساعدنا على تجاوز هذه الأزمات الخانقة، فقمت وبمساعدة جارتنا الطيبة بوضع إعلان بين أرجاء الحارة عن تقديمي للدروس الخصوصية للطلاب والطالبات في مادة الإنجليزي التي تعلمتها منذ صغري، ونظرا لما أتمتع به من سمعة طيبة بين الجيران وأهل المنطقة فقد أصبح الأهالي يثقون بوجود أولادهم في منزلي، ولا أخفيكم سرًا فقد كنت

أحياناً أشعر بالإنهاك وخاصة في فترة الاختبارات حيث كنت أذهب للعمل الساعة السادسة صباحا وأوقع في سجل الحضور وعند السابعة أكون في الجامعة أؤدي اختباري وعند الحادية عشر أعود مرة أخرى لعملي إلى الساعة الثالثة، ثم أعود للمنزل وأعد الطعام لوالدتي وأعطيها الدواء، وبعد ذلك أستقبل الطلاب لأعطيهم الدروس الخصوصية حتى الساعة التاسعة ليلا، ثم أعد العشاء لوالدتي، وأبدأ في مذاكرة اختباري ليوم الغد إلى الساعة الثانية ليلا لأنام وأصحو عند السادسة وهكذا، كان الأمر أشبه بالانتحار البطيء لكن حسن ظني بالله وتوكلي عليه ثم وقوف جارتنا الطيبة معي وتفهم مديري بالعمل لظروفي ومساعدة زميلاتي لي ودعاء أمي كل هذه الأشياء كانت بمثابة العكازات التي أستند عليها حين أوشك على التهاوي والانهيار، لم يكن الأمر سهلا أبدا لكن بالعزيمة والإصرار وقوة الإيمان يحقق الإنسان ما يريد بإذن الله تعالى، بعد أربع سنوات مضنية مجهدة تخرجت من الجامعة وبتقدير امتياز من فضل الله تعالى ولا تسألوا عن سعادة والدتي بي ولا عن سعادتي بإدخالي البهجة على قلبها، وقد كان أخي قد سبقني بالتخرج سنة

كاملة وتوظف بشركة خاصة كبرى مهندساً معمارياً، بدأت الدنيا تبتسم لنا من جديد، وبدأت ظروفنا المادية تتحسن شيئاً فشيئاً، وبدأت في البحث عن وظيفة أفضل تناسب شهادتي ولكني لم أجد، وفي أحد الأيام أخبرتني زميلتي بالعمل عن حاجة مدرسة أهلية لمديرة، ولأني أصبحت أعشق التعليم من خلال تلك الدروس الخصوصية التي كنت أقدمها فقد قدمت على الوظيفة، ومن فضل الله حصلت عليها رغم العشرات اللاتي قدمن عليها، قدمت استقالتي من عملي السابق وسط دموع زميلات شاركنني لحظات وجعي وحرماني وبداياتي المتعثرة، وبدأت عملي الجديد بكل همة وطموح كان الراتب مغريا وضعف راتبي السابق ثلاث مرات هذا عدا الحوافز والمكافئات، خلال ثلاث سنوات استطعت أن أثبت وجودي وأحوز على ثقة مجلس إدارة المدرسة، وأساهم بحصول مدرستي على عدة جوائز في مختلف الأنشطة، مما جعل بعض المدارس الخاصة تسارع بتقديم عروضها لي لتغريني بالعمل لديها وكان من أفضل العروض التي قدمت لي عرض شراكة بيني وبين مؤسسين لمدرسة أهلية كانت في طور الإنشاء، كنت أدرك حجم

العمل المطلوب وخاصة بمرحلة التأسيس لكن في المقابل سيكون لي ٢٥٪ من صافي أرباح المدرسة مقابل جهدي المبذول وتوكلت على الله وقبلت التحدي، خمس سنوات مرت كنت فيها مثل الربان الماهر الذي ينجو بسفينته من موجه هادرة، ليصارع موجة غاضبة أخرى ، حتى رسي بها فوق مرفئ الأمان بفضل الله تعالى، أصبح اسم مدرستي متميزاً ومرغوبا به من قبل الأهالي ومحط ثقتهم وخاصة بمجال الأنشطة الفريدة التي كنت أشرف عليها شخصيا، تحسنت ظروفنا تماما وانتقلنا لمنزل صغير رائع اشتريته أنا وأخي معا وتحسنت نفسية والدتي وصحتها كثيراً وتعرفت على جارات رائعات تأنس بهن ويأنسن بها، وفي خضم كل تلك الظروف كنت ازور والدي مع شقيقي ولم ننقطع عنه أبدا خلال هذه السنوات المتتالية، أما شقيقاي المهاجران فقد استقرا بأمريكا وتزوجا هناك وقطعا كل صلة لنا بهما للأسف الشديد، فكرت ذات يوم بأنه قد آن الأوان أن أحقق حلمي بتأسيس مدرسة أهلية خاصة بي فأنا أملك الرؤية الإدارية المحنكة والسمعة الطيبة، اتفقت مع أخي على أن آخذ سلفة كبيرة من بنك التسليف ورهن المنزل، وفعلا تم ذلك وقمت

بتأسيس مدرسة متكاملة حققت النجاح تلو الآخر وأصبح يشار إليها بالبنان وهي من المدارس الآن المتميزة المعروفة سواء على مستوى الكادر الإداري أو التعليمي أو النشاطي، استطعنا أن نسدد الأقساط بفترة وجيزة من فضل الله وتجاوز عدد الطالبات بمدرستي الألف طالبة، واليوم ها أنا أكتب لكم حكايتي وعمري خمس وأربعين سنة، لم أتزوج فقد فضلت خدمة أمي والقيام بشؤونها وكذلك خدمة والدي بعد خروجه من السجن وإصابته بعدة أمراض، اما شقيقي الصغير فقد تزوج بإنسانة رائعة وأنجب خمسة أبناء هم بالنسبة لنا أروع ما في الحياة، أملك الملايين وكذلك أخي، لكنها من فضل الله لم تغيرنا بل جعلتنا نفهم أنفسنا جيدا ونتعرف على ذاتنا أكثر، ونشعر بالآخرين أكثر وأكثر وخاصة المحتاجين منهم.

نصيحتي لكل شخص يعيش مرارة الابتلاء أن لا يقنط من رحمة ربه ولا يركز على تلك الغيوم السوداء التي تحول بينه وبين ضياء الشمس بل عليه أن يبحث عن الشمس بأعماقه هو، فهي تشرق من داخله، وأن يتذكر دوما أن المنح قد تكون في المحن

مصداقاً لقوله تعالى: {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٢١٦].

فابدأ من الآن بتقييم حياتك ثم الانطلاق نحو أهدافك وتذكر أن الحياة قصيرة فلا تضيعها بالبكاء والعويل على حظك البائس، ولكن راقب الشمس وهي تشرق من داخلك .!

جون ناش .. وعالم الأوهام !

في مجتمعات العالم الثالث يعتبر الكثيرون المرض النفسي من الأمراض التي يجب أن تكون في طي الكتمان ويجب أن لا تتجاوز حدود جدران الأسرة التي يوجد فيها هذا المريض بل إن البعض ربما فضل أن يعاني من المرض النفسي على أن يذهب لعيادة نفسية حتى لا يراه أحد فيوصمه بأنه مريض نفسي ويا لها من نظرة مجحفة ظالمة تحتاج إلى تعديل ووعي كبير .!

وسأورد لكم هنا قصة عالم عبقري أذهل العالم بأسره حين حصل على جائزة نوبل للإقتصاد عام ١٩٦٦ رغم انه كان مصابا ليس بمرض نفسي بل بمرض عقلي من أشد الأمراض العقلية وهو الفصام حيث يخيل للمصاب به أنه يرى أشخاصا لا يراهم غيره ويسمع هلاوس وأصوات ويحيطه الشك والريبة بأنه معرض للقتل وهذا ما كان يشعر به هذا العالم العبقري الحاصل على جائزة نوبل للاقتصاد ولعلكم تتساءلون من هو هذا العالم ؟!

إنه جون ناش الذي حصل على البكالوريوس من كلية كارينجي عام ١٩٤٨م ومن ثم قدم أوراقه للالتحاق بالدراسات العليا في كلية برينستون وقد طلب وقتها ناش توصية من أستاذه في كلية كارينجي تسهل قبوله فكتب له سطر واحد (هذا الرجل عبقري) بعد ذلك حصل على درجة الدكتوراه حول (نظرية اللعبة game theory) والتي لا قت رواجاً كبيراً فيها بعد وعمل أستاذ بالجامعة وبعد زواجه بزوجته (اليسا) بدأ ناش يعاني من أعراض غريبة وبعد فحصه تبين انه يعاني من أعراض الفصام مثل المعتقدات الخاطئة والهلاوس حيث كان يعتقد بأن رسائل وصلت له عبر التلفاز أو الصحف وأن هناك إنذارات تخبره بأن في المدينة قنبلة ومطلوب منه كعالم أن يجد الرقم السري للقنبلة وكان لديه مكان مثل المختبر يجلس لأيام محاولاً إيجاد الرقم السري، ودائماً مرضى الفصام يخيل لهم أنهم يعملون مع الحكومة أو أنهم مطاردين من الحكومة، والحزين بالأمر أنه كان يتخيل أشخاص كثيرون يحيطون به إلى أن تدهورت حالته النفسية والاجتماعية، وأدخل إلى مشفى ماكلين، عام ١٩٥٩م، حيث شخصوا إصابته بانفصام الشخصية الارتيابي مع اكتئاب بسيط وقلة التقدير للذات. وخرج من المستشفى ولكنه لم يكن بصحة جيدة ورجع لتخيلاته وارجعوا دخل

للمستشفى ولكن مع تلقي العلاج بانتظام ومع الوقت أصبح بحال أفضل ورجع ليدرس بالجامعة ولكنه استمر يرى التخيلات لأخر يوم بحياته .

تقول عنه أخته مارتا في مذكراتها (انجوني كان دائما مختلفا. والديّنا عرفوا أنه مختلف، وعرفوا أيضاً أنه ذكي جدا. كان دائما يريد أن يقوم بالأعمال بطريقته الخاصة. أمي كادت تصر عليَّ أن أقوم أنا له بالأعمال وأن أدخله في صداقاتي، لكنني لم أكن متحمسة جدا لأعرف أصدقائي على أخي الغريب بعض الشيء).

إن قصة هذا العالم العبقري تعتبر ملهمة لكل شخص يعاني من مرض نفسي أو عقلي وخاصة مرض كالفصام فجون ناش استطاع أن يفصل بين عالمه الحقيقي وعالم الخيالات والأوهام الذي لم يكن يراه أحد غيره، وكان مؤمنا بقدرته على نفع البشرية من خلال نظريته الفريدة كما أن وقوف زوجته إلى جواره ودعمها له كان له الأثر الكبير في مسيرته العلمية .

ومضة

يقول مارتن لوثر كنج (حياتنا تشرف على النهاية يوم نلوذ بالصمت إزاء الأشياء ذات القيمة).

سيحاربونك .. وستنتصر !

قبل ثلاث سنوات وفي إحدى الدورات التدريبية اقتربت مني شابة تتوقد عيناها طموحا وإصرارا ، وتتدافع الكلمات فوق شفتيها وكأنها تود التخلص مما يتلاطم في صدرها من ألم دفين قائلة : تخرجت من كلية الاقتصاد قبل سنتين وكالعادة قدمت أوراقي باحثة عن وظيفة في كل قطاع حكومي وأهلي قد تتخيلينه وكالعادة أيضا لم يصلني أي رد ولأني واقعية فأنا لم أتوقع أن يصلني أي رد فزميلاتي من الدفعات السابقة ما زلن يعانين من البطالة فلماذا أظن بأني سأكون الحالة الاستثنائية من بينهن ؟

لذا فكرت بمشروع تجاري صغير وهو إعداد الحلويات والفطائر من المنزل وإيصال الطلبات لمن يرغب بسعر بسيط ، قوبلت بهجوم شرس من أسرتي وزميلاتي وحذروني من نظرة المجتمع لي " كطباخة " واني لن أجد من يقبل بي زوجة له فيما بعد ، كما راهنوا على الفشل المؤكد الذي ينتظر مشروعي فمن يثق " بطباخة سعودية " ، لكنني لم أستسلم وبدأت في صنع الحلويات والفطائر بمساعدة شقيقتي التي كانت تعاني مثلي من البطالة ، كنا معا نحارب طواحين الهواء والمشكلة ان الرياح لم تكن تهدا أبدا

لـذلك كانـت طـواحين الهـواء مستمرة بالـدوران مما كـاد يجعلهـا تستنزف جهودنا ، سجلت بتويتر وبـالفيس بـوك وصـممت موقعـا الكترونيا خاصا بعـرض الحلويـات والفطـائر التـي نعـدها وتلقـي الطلبات وكان الإقبال بطيئا في البداية لكنـه الآن قـد تحسـن بشـكل بسيط ، لكني لا اكتمك بأني اشعر بان طاقتي اسـتنزفت ممـن حـولي بكثرة تبريراتي لهم ومحاربتي لكلماتهم السلبية التي يحـاولون غرسـها بـداخلي ، والجهـد الخـارق الـذي ابذلـه حتـى لا يفشـل مشرـوعي فيشمتوا بي فماذا أفعل لقد تعبت حقا ؟!

قلت لها : عزيزتي يقول غانـدي (في البدايـة يتجاهلونـك، ثـم يسخرون منك، ثـم يحاربونـك، ثـم تنتصرـ) فـالعبرة دومـا ليسـت بالبدايات بل بكمال النهايات ، وهذا الجهد الذي يستنزف طاقتك في " تصفيف " التبريـرات لهـم وشرح أسـباب بـطء سـير مشرـوعك سيستهلكك تماما إن اسـتمريت فيـه ، كـما أن اسـتماعك لأحكـامهم السـلبية سيعيقك عـن التقـدم والنجـاح لـذلك ركـزي جيـدا عـلى أهدافك ولا تشتتي ذهنك أبدا بالمؤثرات الخارجية ، وأحسني الظـن بخالقك وسيصـفقون لك يوما.. كوني واثقة !

الآن هـذه الشـابة السـعودية أصـبحت سـيدة أعـمال متميـزة وناجحـة، وتوسـعت بمشروعها بشـكل مـذهل ،وحظيـت بفخـر وإعجاب كل مـن حولهـا مـن أهـل وزمـيلات ، وجاءتها الوظيفـة الحكومية فرفضتها أتـدرون لمـاذا ؟لأن مقـدار ربحهـا الصـافي مـن مشروعها حاليا يتجاوز الخمسين ألف ريال شهريا ..!!

إذن كل ما يحتاجه الشباب منا هو الثقة بإمكانياتهم وقـدراتهم، وأن نؤمن بالطاقات الهائلة التـي يحملونهـا بـداخلهم ، ونكـف عـن زرع بذور الفشل والإحباط واليأس بـأعماقهم و نمـنحهم المسـاندة والدعم والايجابية ، الشباب مثل بصمة الأصابع كل واحـد مختلـف عن الآخر فلماذا نظنهم جميعا يحلمون بالوظيفة الحكوميـة ؟ الـبعض منهم لديه أفكـار ومشـاريع وإبـداعات واختراعـات وهـم تنـاطح الجبال فدعوهم ينطلقـون ويجربـون ويختـبرون الحيـاة وسـينجحون بحول الله تعالى !

وتذكروا أن النبي عليه الصلاة والسلام جعل أسامة بـن زيـد أميرا لجيش فيه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وشيوخ الأنصـار وكبار المهاجرين رغم أنه لم يكن يتجاوز العشرين من عمره !

ليتهم يصمتون !!

في أثناء مشوار حياتك ستصادف أنواع شتى من البشر يختلفون في طباعهم وسلوكهم وأخلاقهم وأفكارهم عنك ولأنك كائن اجتماعي بطبعك فأنت مجبر على التعامل معهم بحكم أمور كثيرة منها ما هو بسبب حق الرحم ومنها ما هو بسبب حق الجيرة ومنها ما هو بسبب حق صداقة العمل وهكذا ، لكن ما لست مجبرا على تحمله هو تلك الروح السلبية التي قد يحاولون صبغ حياتك بها ففي هذه الحالة لك مطلق الحرية بالقيام بثورة عاتية لا على نمط ثورات الربيع العربي بل على نمط ما قامت به الزنجية الأمريكية روزا باركس حين قالت (لا) ورفضت أن تقوم من مقعدها في الحافلة ليجلس فيه رجلا أبيض حيث كانت تنص قوانين التمييز العنصري على أن السود ليس من حقهم أن يجلسوا في الحافلات بينما رجل أبيض واقف وقد كان موقفها البطولي هذا سببا في إلغاء قوانين التمييز العنصري ، لذلك إبدأ من اليوم وقل (لا) بكل وضوح لمن يريد أن يطبق عليك قوانينه السلبية المدمرة ..ويجرك إلى عالمه السوداوي البائس !

❁ قل (لا) لكل شخص متذمر كثير التشكي والتسخط رغم أنعم الله التي يرفل بها من زوجة ومنزل وذرية وصحة ووظيفة فهذا لم يؤدي حق الله المتفضل عليه بالنعم بالشكر والامتنان فهل تتوقع منه أن يشكرك أنت مهما وقفت بجانبه في أزماته وكوارثه الحقيقية والوهمية!

❁ قل (لا) لكل شخص يضيع وقته في صنع قارب خوفا من "تسونامي " يحل بأرضه رغم أنه يعيش في الصحراء والبحر يبعد عنه آلاف الأميال لكنه متشائم بطبعه فهو لا يرى من الورود إلا أشواكها ومن السماء إلا شهبها ومن الأرض إلا وحلها إن حدثته عن جمال الدنيا تنهد متحسرا ودعاك للبكاء معه على الأطلال وإن سامرته بالشعر الرقيق أورد لك من أشعار الفراق والهجر والحزن والرثاء ما يضيق به صدرك وتتحشرج به أنفاسك!

❁ قل (لا) لمن يعلم أطفالنا كيف ينشدون أناشيد الأمة الإسلامية بلغة الإنهزام والحزن والحسرة وذرف الدموع ودفعهم إلى التباكي على ماض اندثر وأمجاد ولت متناسيا أن أعظم إيجابي عرفته البشرية حبيبنا محمد عليه الصلاة السلام قال (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي

من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم ياعبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود)

❁ قل (لا) لكل من لا يعفو ويتسامح ويتناسى أخطاء الآخرين ويصر على همزهم ولمزهم بها وتذكيرهم بما مضى من الزلل والمعصية والرقص فوق ذكرياتهم السيئة التي يحاولون جاهدين تناسيها ليبدؤوا حياة جديدة يفرح فيها الإله الغفور بعودتهم إليه ..!

❁ قل (لا) لكل من يبث روح الإنهزام بالأمة ويفرح حين يرى الشتات بالوطن ويعمل بصمت ليقوض الإطمئنان في الصدور فتراه يحيك الشائعة ويطرزها ثم يبدأ بنشرها ليتسم بزهو الأشرار وهو يرى نتائجها السلبية المقيتة تحرق روح الإيجابية والأمل في الآخرين لكني أقول له لا تفرح وتأمل حديث أبي القاسم عليه أفضل الصلاة والسلام (إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم).

لذا من الآن اطلب من أي شخص سلبي في حياتك أن يصمت أو قل له (لا) أو طالبه بالرحيل !!

قمــم

في تلك اللحظات التي تضطرك فيها ظـروف الحيـاة أن تعـتلي جبالا ربما يشق عليك بلوغ قممهـا فـلا تتوقـف بمنتصـف الطريـق الوعر بل أكمل واعتبر الأمر تحدي لذاتك وقدراتك وستشعر بنشوة الانتصار حين تهمس لنفسك : لقد فعلتها !

-قمة الألم أن تبتسم للآخرين رغـما عنـك وأصـوات تصـدع قلبك وارتطام حطامه بين جنبيك لا يسمعه احد سواك ..!

- قمة العطاء أن تقسم رغيفـك بـين طفلـين يتيمـين جـائعين وتظل ترقبهما بسعادة والجوع يعتصر أحشاءك بلا رحمة !

- قمة الحب أن تسـتلهم مـن تجاعيـد وجـه زوجتـك الحبيبـة حكاية حب جمعتكما سوية وتركت وراءهـا أثـرا جمـيلا بـين تقاسـيم ملامحها مفاده " أن الحب لا يشيخ مـا دامـت الأرواح محلقـة بحريـة نحو الأفق الفسيح " !

- قمة العذاب أن يسكنك الخوف يتمدد بشراينك .. يلتحف أحلامك ..يتدثر بأهدابك .. فيرتجف قلبك عند كل حركـة وسـكنة

كقلب عصفور صغير يرتقب شبكة صياد تلقى فوق جسده فجأة فلا يستطيع الهرب مهما رفرف بجناحيه !

- قمة القهر أن تكتشف أنك كنت مجرد سلم صعد فوقه من ظننته يوما عكازا لك تستند عليه حين تكسر الأيام ظهرك !

- قمة السعادة حين ترقب طفلا صغيرا يضحك ببراءة لا تصنع فيها فيجبرك على فتح نوافذ قلبك لضحكاته وتشعر أن كل العالم بأسره يضحك لك .. فكثيرون يبتسمون لكن قلوبهم لا تبتسم ولذلك لا يبتسم العالم حين يبتسمون!

- قمة الغربة أن تجلس بين أهلك وأحبتك ولكنك تشعر بالحنين لقلوب تشعر بك وتشعر بها .. وأيدي تربت بصدق على كتفك حين تكون مهموما ، وأرواحا تحلق حولك حين تبكي وتمسح دموعك المتساقطة، الغربة ليست مكانا يبعدنا ، بل هي قلوب تصدنا رغم قربها ، وأرواح لا تشعر بنا رغم قربنا !

-قمة الانتصار الحقيقي أن تحقق ما آمنت به وقال لك الآخرون بأن تحقيقه مستحيل .. لأنك إن فعلت فأنت شجاع حقا!

- قمة التضحية أن تقتطع من ساعات يومك للآخرين دون أن تنتظر مقابلا منهم ، وتستمر ببذل مشاعر الحب والعطاء والمساعدة لهم ، حتى لو تجرأوا واعتبروا حياتك شيكاً مفتوحاً لهم يدونون فوقه ما شاءوا من مشاعر ويصرفونها بلا مبالاة من مخزون قلبك الكبير ..!

-قمة الصدق أن تقف بين يدي ربك ، وأنت تعلم يقينا بأنه وحده سبحانه (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) فلست بحاجة لتزييف وضعك أو تجميل فعلك ، لأنك تعلم يقينا بأنه ينظر لقلبك لا إلى هيئتك وهندامك ، وتعلم يقينا أنك لست بحاجة لوساطة سكرتير حتى تكون بين يديه ، ولا لموعد مؤجل شهور ،ولا لتزكية من عمدة الحي ، ولا لشهادة علمية او مكانة اجتماعية ، فهو الغني عنك وانت الفقير إليه ، (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) ، فكل ما عليك أن تتطهر وتقبل على ربك بعقلك وقلبك وجوارحك في لحظة صدق ومناجاة ودعاء ولذة طاعة تشعر بها تسري بروحك نحو أبواب السماء حيث تتوق النفس لجنة عرضها كعرض السموات والأرض .. يا لها من لحظة صدق تتلاشى أمامها كل لحظات الزيف بهذه الدنيا ..

همسة

حين تضيق بك الدنيا ارفع بصرك نحو السماء وقل يارب .. فهو وحده من يملك أمرك .

ماذا لو..؟!

يتذمر البعض من قسوة الحياة ومتغيراتها المتلاحقة ، فينظر إليها نظرة سوداوية بائسة ، فتراه يحمل هم المستقبل البعيد ، ويغتال جمال اللحظة بتشاؤمه ، وينشر تردداته السلبية الخانقة حيثما أقام وارتحل ، وحتما إن كنت شخصا متفائلا فستضيق به ذرعا لكنك رغم ذلك مجبر على رفقته إما لأنه من ذوي القربى ، أو لأنه زميل عمل ، أو لأنه جار جنب ، لذا ستضطر اضطرارا من باب " مكره اخاك لا بطل " أن تحدثه عن روعة الإيجابية وأثرها الجميل في الحياة وروعة الأمل الذي يبحر بمراكبه في بحر السعادة والهناء والسرور ، وسيجيبك بصوت واهن ممزوج بآهة حرى " النار ما تحرق الا رجل واطيها "!

✿ لكن ماذا لو... أن المتشائم السلبي أحصى نعم الله تعالى عليه من عافية ووظيفة ومال وزوجة وبنين ومسكن وسيارة وطعام وشراب وصحة أعضاء داخلية وخارجية وحسن خلقة في نفس

الوقت الذي يرى غيره محروم من بعضها او كلها فهل ستتغير نظرته للحياة ؟! مكتبة

❁ ماذا لو ...أن المتشائم السلبي قرأ حديث النبي عليه الصلاة والسلام (إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل".) فرغم أن السماء تتساقط كسفا والأرض تمور والجبال تتطاير كالعهن المنفوش والبحار تتلاطم والأخلاء يهرب بعضهم من بعض ، إلا أن حبيبنا يأمرنا بالإنتاجية والتفاؤل والأمل والغرس واكتساب الدرجات حتى في هذه الظروف التي يشيب لها الرأس فهل لو أدرك المتشائم هذا المعنى العميق لروعة التفاؤل فهل ستتغير نظرته للحياة ؟

❁ ماذا لو ...أن المتشائم السلبي أحسن الظن بمن حوله واستبدل كل ما احتفظ به من تسميات محنطة بين دهاليز عقله المتعب بمسميات أجمل وأروع واصدق ، فالحياة التي يعتبرها غابة مظلمة مخيفة يبدأ بالنظر إليها كبستان جميل الألوان يفوح شذى أزهاره معطرا الكون بأسره ، والناس الذين يعتبرهم وحوشا

انتهازية متسلقة ويغلق دون التواصل معهم ألف بـاب وبـاب يبـدأ بالنظر إليهم كظلال أشجار وارفـة ترعـاه بحنـو حـين يشـتد عليـه هجير الصحراء الموجع، وأسرته التي بنى حولها أسوارا من الشـك والغلظة وجفاف المشاعر يبدأ في تحطيم السدود بينه وبينهـا لتتـدفق المشاعر حبا وحنانا ورحمة وعطاء واحتواء.. فهل لو أدرك المتشائم روعة حسن الظن بالآخرين فهل ستتغير نظرته للحياة؟

✿ ماذا لو.. أن المتشائم السلبي أدرك أن التشاؤم هو الخطـوة الأولى في طريق اليـأس والـذي ينتهـي المطـاف بصـاحبه إلى الكفـر مصداقا لقولـه تعـالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يوسف: ٨٧].

فهل كان سيستمر بتشاؤمه الأسود؟

التشاؤم حين يدق أوتاده في ساحة بيت أو مجتمع أو وطن فقل عليه السلام، لذا فلنحارب التشاؤم كأشد أعدائنا شراسة ويجب أن ننتصر عليه فلن تنهض أمة يتمدد التشاؤم في نفوس أبنائها كـأطراف اخطبوط مخيفة!!

همسات

✿ حين تصحو فجرا فاحمد الله تعالى أن رزقك بيده وحده لا بيد أحد من خلقه ..!

✿ حين يكون واقعك أرحم من حلمك فحتما أنت تقف على أعتاب البدايات دائما لكنك لا تحرك قدميك مطلقا ..!

✿ في بداية كل يوم جديد لا تنتظر أن يبتسم لك الآخرون بل ابدأ أنت الابتسام وسيبادلونك إياه ، حين تعتاد على المبادرة فستشعر برضا داخلي عجيب

✿ وأني أرجو الله حتى كأنني أرى بجميل الظن ما الله فاعل حين تصل لهذا المفهوم العميق فقد حققت المعنى الحقيقي لحسن الظن بالله تعالى ..

✿ حين تقول (نعم) في الوقت الذي ترغب فيه بقول (لا) فاعلم انك ستعيش ضغطاً نفسياً فيها بعد !

من يحكم إغلاق نوافذه قبل هبوب العاصفة فلا يحتاج أن يبقى متيقظا عند وصولها !

✿ لا تسمح لأي احد كان في هذا العالم أن يفقدك ثقتك بنفسك لأنه إن فعل فقد انتصر عليك وحطمك ، فأنت بدون ثقتك بنفسك مثل حصان بلا حدوة لن يفوز أبداً.

✿ علمتني الحياة أن المطبات قد تتحول إلى جسور نعبر فوقها نحو محطات أحلامنا لكن المهم أن نعيد ترتيب أوراقنا وأفكارنا من جديد.

✿ الأشخاص السلبيين بحياتك سيحاولون سحب قاربك لشواطئهم الشائكة وتحطيم مجاديفه وكسر مرساته ، مهما فعلوا فلا تنصت إليهم وأبحر بعيدا عن مينائهم !

✿ في حياتك ستمر عليك مواقف تختبر فيها قدرتك على الصمود بوجه الأعاصير ، ستهتز ، ستتألم ، لكن الأهم أن تظل صامدا فكل الأعاصير ستغادر سماءك !

✿ حين تشعر بالحطام متناثرا تحت قدميك وبين أضلعك ، فابك حتى تخرج كل انكساراتك ، ثم انهض وأزل الحطام عن طريقك وابن حياتك ، فعما قريب سيبزغ الفجر.

✿ قمة الانتصار الحقيقي أن تحقق ما آمنت به وقال لك الآخرون بأن تحقيقه مستحيل .. أنت شجاع حقا!

✿ الناس الذين يتذكرون أحداث الماضي المؤلمة ، ويعيشون لحظاته المريرة ، لن يستمتعوا بجمال حاضرهم أبدا ، لأنهم لم يتحرروا من الألم والمرارة بعد !

✿ أي تغيير يبدأ من الخارج فهو عبث مضيعة لكل جهد يقول تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ، فمن خلقها أعلم بما يناسبها.

✿ في بداية كل يوم جديد ، ضع أمام عينيك هدفا تسعى نحو تحقيقه ، حتى إذا جاء المساء شعرت بلذة الإنجاز وروعته ، حتى لو كان الهدف صغيراً ..جرب.

✿ علمتني الحياة أن الهموم لا تدوم ، ولا السعادة تدوم ، ولا المشاكل تدوم ، ولا الدنيا بأكملها ستدوم ، فلم الحزن إذا وحياة أخرى دائمة بانتظارنا الماء يذيب السكر ولا يؤثر في الحديد ، فكن حلوا تؤثر بغيرك كالسكر وصلبا أمام حوادث الأيام لا تؤثر فيك كالحديد !

✿ من تحت الحطام ستجد برعما صغيرا يحاول أن يشق طريقه نحو الضياء وسينجح ، تماما مثل شخص يائس يعلوه الحطام لكنه روحه ترنو نحو ضياء الأمل وسينهض.

✿ كان إنتوني روبنز الكاتب والمدرب العالمي فقيرا معدما وفي لحظات يأسه حاول الانتحار لولا أن رجلا عجوزا أنقذه ليكتشف أن الحياة تستحق أن يعيشها !

✿ لا تسمح لأحدهم بالتقليل من شأنك ولا باغتيال أحلامك ولا بارغامك على الإنحناء ..فأنت حين أتيت للعالم لم يكن ثمة قيود استعباد تحيط بعنقك ..!!

✿ حين يمسك الألم بقلبك بين أصابعه ويعتصره عصراً بسبب أناس أحسنت لهم وأساءوا إليك فلا تستسلم للحزن وتذكر أن لله ملائكة ترصد الحسنات فابتسم ..

✿ قالت : أرغب بإكمال تعليمي لكني تجاوزت الخمسين ، قلت لها : تلك العجوز الاسترالية حصلت على شهادة الطب وعمرها ٩٤ سنة ، فتوكلي على الله وابدئي.

✿ حين تحزن .. تتألم .. تفقد عزيزا .. يضيق بك الحال ..يتكدر خاطرك فتذكر قوله تعالى: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ۝١﴾ [الطلاق: ١].

✿ ترميم الأسقف الهشة يؤخر سقوطها قليلا لكنه لن يكون قادرا على منعها من الانهيار ...!!

✿ إن كنت تلوم ظروفك وأهلك بسبب فشلك وعدم تحقيقك لأهدافك فتوقف الآن لأنك لن تحقق أي فائدة ، وابدأ في التعرف أكثر على ذاتك و ايجابياتك وقدراتك.

❁ التفكير السلبي يعود إلى التركيز دوما على ما يوجد في شخصياتنا وبيئتنا من سلبيات ، وبالتالي سينصرف النظر عن كل إيجابية.

❁ السعادة ليست ببيت ملك ولا برصيد بنكي ولا بأسفار خارجية ، السعادة ينبوع يتدفق من داخلك أنت حيث الأنس بقرب الله والإحساس برضاه ورحمته عليك .

❁ إذا اعتقدت أن رزقك بيد فلان من البشر فسيكلك الله إليه ، لكن كن مثل الطير بقوة يقينها وحسن ظنها بربها تغدو خماصاً وتعود بطاناً ، كن قويا بربك .

❁ من يعش آلام الماضي ومآسيه لن يستمتع بحاضره ويخطط لمستقبله ، فإن كان ماضيك مؤلما موجعا فاعتبره مجرد كابوس انفث عن يسارك ثلاثا واطوي ذكراه !

❁ التسامح يجعل منك طيرا حرا طليقا ، الفضاء فضاؤك والعالم أهزوجتك، ولآلِيء النقاء أصدافك، فكن طيراً حراً ولا تعبأ بسفوح الجبال !

❁ اشكر الله الذي أنعم عليك بنعمة توحيد يزيدك رفعة وسمواً حين تسجد لخالقك بينما غيرك يتمرغ بالذل والمهانة وهو يسجد لحجر وحاكم ومال وكرسي لا يدوم.

❁ أشكر الله الذي أنعم عليك بعينين تبصر بهما وجوه أحبابك وأطفالك ووالديك، وتقرأ بهما القرآن الكريم وكتبك ورسائلك الخاصّة ومواقعك المفضلة .

❁ أشكر الله على نعمة الأمن حين تضع رأسك فوق الوسادة بأي وقت دون أن تخشى قنابل تنهال على سطح دارك أو انفجارات دامية تتناثر بسببها أشلاء أطفالك.

❁ أشكر الله تعالى على نعم السمع والشم واللسان والجلد الحسن والعقل والخلقة الصحيحة والبيت والسيارة والوظيفة والزوجة الصالحة، والذرية المعافاة.

❁ شكرك لخالقك سيعلمك كيف تشكر والديك وزوجتك وأبناءك ومرؤوسيك ورؤساءك وعمالك وموظفيك وجيرانك وأصدقاءك وكل مَن أسدى لك معروفاً أو خدمة أو نصيحة.

الخاتمـــة

وبعد قارئي العزيز .....

بعد هذه الرحلة الجميلة.. التي أبحرنا فيها معاً بين دفتي هـذا الكتاب الـذي احتـوى عـلى قصـص واقعيـة عـلى لسـان أصـحابها أنفسهم..

عايشنا قصصهم بكـل لحظاتهـا المختلفـة ومجرياتهـا الحقيقيـة، وبكل فصولها المتعددة وأحداثها الحياتية المتنوعة.

في لحظــات انكســارهم واخفــاقهم ولحظــات ســعادتهم وانجازاتهم وتحديهم ولحظات ميلاد الأمل وصرخـة الحلـم الجميـل القادم من رحم المستحيل..

قارئي العزيز..

أنـا واثقـة بقـدرتك بـإذن الله تعـالى أنـك سـتحكي لنـا يومـاً حكايتك كما سمعنا منهم حكاياهم.. فأنت تستحق أن تحلم وتحقـق أحلامك وتستمتع بروعة إنجازاتك وأعمالك.. فابدأ من الآن وضع قدمك على أول الطريق وقل يا رب.

فهرس المحتويات


بحمد الله
لإبداء الآراء والملاحظات يسعدني التواصل
على الايميل:
sa2030na@gmail.com
@AlodidanSalwa



كثيراً ما سألني الآخرون لماذا أنتم معاشر المتخصصين في تطوير الذات تكررون لنا نفس قصص الكفاح والعصامية ولكأنما النجاح حكراً فقط على العظماء والمشاهير؟!

ومن هنا لمحت فكرة هذا الكتاب في ذهني فقد شعرت بأن تساؤلهم كان في محله !

فقمت بنشر إعلان صغير في "تويتر" و"الفيس بوك" لمن يرغب أن يكون ملهماً للآخرين بحكاية نجاحه، كضوء يلمع بنهاية نفق، ولاتسألوا عن سعادتي وأنا أرى أمواج القصص تتدفق على بريدي الإلكتروني حتى أيقنت فعلاً أن العظماء ليس شرطاً أن يكونوا ممن رست سفن التاريخ في شواطئهم يوماً .. بل إني أكاد أجزم صادقة بأن كل إنسان بسيط سجل حكاية نجاحه بفضل الله ثم اعتماده على نفسه فإنه حري به أن يكون عظيماً ولو لم يكن يكن مشهوراً !

لذلك أترككم لتبحروا بخيالكم وعقولكم وقلوبكم مع قصص النجاح الواقعية وتعيشوا تفاصيلها مع أصحابها ..

وكلي يقين وأمل بأني يوماً ما سأكتب قصص نجاحكم بإذن الله تعالى

سلوى العضيدان

للتواصل مع المؤلفة:

sa2030na@gmail.com

@AlodidanSalwa

توزيع
مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان
ص.ب : ١٤٠٥ الرياض : ١١٤٣١
هاتف : ٤٠٢٢٥٦٤ ناسوخ : ٤٠٢٣٠٧٦


حين تكبو انهض
9 786030 250257
JERAISY Tel - 4022564

ردمك : ٩٧٨-٦٠٣-٠٢-٥٠٢٥-٧